الإعجاز العلمي في سورة الفرقان

د .أحمد رمضان مصطفى دياب

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

بكلية أصول الدين - القاهرة

جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله ، خاتم النبيين والمرسلين اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الأمي الكريم ، وعلى آله وصحبه ، ومَن سار على نهجه واهتدى بهديه إلى يوم الدين .

أمـــا بعـــــد

فلا شك أن الوقت الذي يقضيه الإنسان مع القرآن الكريم هو أشرف الأوقات وأمتعها وأن تدبر القرآن الكريم من أجل الأعمال وأعظمها ، وأشرف المقاصد وأقومها ، فما أحلى أن يعيش الإنسان مع القرآن الكريم ، قراءة وفهماً ، واستيضاحاً لبعض معانيه وأسراره ، وكشفاً لبعضٍ من درره المكنونة ، وجواهره المصونة .

والقرآن الكريم كتاب هداية وإعجاز ، وهو صالح لكل زمان ومكان ، لأنه معجزة الإسلام الكبرى ، ولقد تعددت جوانب الإعجاز القرآني ، وكان من أهمها: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم .

● وإسهاماً مني في خدمة القرآن الكريم ، استعنت بالله تعالى وقمت بكتابة هذا البحث ، وسميته : ﴿ **الإعجاز العلمي في سورة الفرقان** ﴾ ، **والذي جاء مشتملاً – بعد هذه التقدمة – على تمهيد وستة مطالب وخاتمة .**

أما التمهيد فتحدثت فيه عن معنى الإعجاز ، ومفهوم الإعجاز العلمي ، ثم عرَّفت فيه بسورة الفرقان .

وجعلت المطلب الأول للحديث عن مد الظل وقبضه ، والثاني للحديث عن مهمة الرياح في نقل السحاب وإنزال المطر ، والثالث للحديث عن مرج البحرين والحاجز بينهما ، والرابع للحديث عن خلق الإنسان من ماء ، والخامس للحديث عن الشمس والقمر ، والسادس للحديث عن تعاقب الليل والنهار .

وأما الخاتمة فاشتملت على فهرس المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات .

وبعـــــــد : فهذا بحثي بين يديك ، إن كنتُ وفقتُ فيه إلى ما إليه قصدتُ فذلك محض فضل من الله تعالى ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصـــالحات ، وإن كانت الأخرى — ولا حول ولا قوة إلا بالله – فمن نفسي ، ومـــا أبرؤهـــا ، وأرجو من الله غفران الذنوب .

﴿ تـمـهـيـد ﴾

﴿ معنى الإعجاز ومفهوم الإعجاز العلمي ﴾

معنى الإعجاز في اللغة واستعمال القرآن :

بالتدبر في آيات القرآن الكريم ، وبالرجوع إلى المعاجم اللغوية ، يتبين لنا أن العَجْز معناه : الضَّعْف ، وهو ضِدُّ القُدْرَةِ ، فهو اسم للقُصُورِ عن فِعْل الشيءِ ، تقول : عَجَزْتُ عن كذا أي ضَعُفْتُ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ ﴾ (١) .

وتَسْمِيَةُ المرأة بالعَجوزِ : لعَجْزِهَا وضَعْفِهَا عن كثير من الأمور(٢) .

على أن أصل العَجْزِ : التَّأَخُّر عنِ الشيءِ ، وحُصُولُهُ عند عَجزِ الأمر ، أي مُؤَخَّرِهِ، فالعَجْز مأخوذ من العَجُز ، والعَجُزُ من كلّ شيءٍ : مُؤَخَّرُهُ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ (٣) .

● والإعجاز معناه : الفوت والسبق والغلبة ، يقال : أعجزني فلان ، أي فاقني وغلبني وفاتني ، وأعجزه الشيء إذا فاته .

● والإعجاز أيضاً : إثبات العجز ، أو إيقاع الشخص في العجز ، أو إظهار كون الشخص عاجزاً ، يقال : أَعْجَزْتُ فُلاناً وعَجَّزْتُهُ وعَاجَزْتُهُ : جَعَلْتُهُ عَاجِزاً ، وإذا ثبت الإعجاز ظهرت قوة المُعجِز .

والتَّعْجِيزُ : التثبيط ، وهو أيضاً النسبة إلى العَجْزِ(٤) .

♣ **والمعجزة في اصطلاح العلماء** : أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدي ، يُظهره الله تبارك وتعالى على يد مُدَّعِي النبوة ، تصديقاً له في دعواه ، مع عدم القدرة على الإتيان بمثله(٥).

وبهذا التعريف يخرج كل ما يُشبه المعجـــزة ، في كونه من خوارق العادات ، كالكرامة والإرهاص والمعونة والإهانة والاستدراج .

♣ **والمراد بالإعجاز في اصطلاح العلماء** : إظهار صدق النبي ﷺ في دعواه الرسالة بإظهار عجز المرسل إليهم عن الإتيان بمثل معجزته .

■ **والمراد من (إعجاز القرآن) بالمعنى الإضافي** : إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به (٦).

♠ **مراحل التحدي بالقرآن الكريم** : لقد تحدى الله تعالى الخلق جميعاً بهذا القرآن العظيم ، ليثبت عجزهم عن الإتيان بمثله ، وهذا التعجيز ليس مقصوداً لذاته ، بل المقصود لازمه ، وهو دلالته على صدق النبي ﷺ فيما يبلغهم عن ربه ﷻ ، لينتقلوا من إنكار الرسالة وتكذيب النبي ﷺ إلى الإيمان بالدعوة وتصديق صاحبها ﷺ .

● ولقد تحدى الله تبارك وتعالى هؤلاء بصور شتى ، وبأساليب متنوعة ، وعلى مراحل مختلفة ، متنزلاً معهم من الخفيف إلى الأخف ، فقد تحداهم الله تبارك وتعالى أولاً أن يأتوا بمثل القرآن، وذلك في قوله سبحانه:﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ۞ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ (٧).

ثم تحداهم ثانياً أن يأتوا بعشر سور فقط ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾(٨) ، ثم تحداهم ثالثاً أن يأتوا بمثل سورة واحدة من سور القرآن الكريم ، حتى وإن كانت أقصر سورة ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾(٩)، ثم تحداهم رابعاً أن

يأتوا بسورة واحدة تتماثل مع السورة القرآنية ولو مماثلة جزئية ، أي تتشابه معها تشابهاً جزئياً ، فقال تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾[١٠].

وهذه الآية الأخيرة تختلف عن سابقتها بزيادة (من)، لتؤكد على اختلاف المرحلتين ، فالمماثلة في آية يونس مماثلة كلية ، والمماثلة في آية البقرة مماثلة جزئية . ثم أعلمهم الله تبارك وتعالى مع التحدي أنهم لن يفعلوا ، لأنهم لا يستطيعون ذلك، ولو كان في استطاعتهم لسارعوا إلى تكذيبه ، فقال جل شأنه :﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [١١]، وهكذا أعلن الله تبارك وتعالى قوة سلطان الإعجاز القاهرة الظاهرة .

❁ وجـــوه إعجـــاز القـــرآن الكـــريم :

إن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم كثيرة جداً ، لا يمكن الإحاطة بها في مثل هذا البحث الموجز ، ولكن كما يقولون – ما لا يُدرك كله لا يُترك كله – ولذلك نشير إلى أهمها ومنها :

الروح الإلهية ، الجِدَّة الدائمة ، نظمه البديع ، أسلوبه الرائع ، إرضاؤه الخاصة والعامة ، إرضاؤه العقل والعاطفة ، قصده في اللفظ مع وفائه بحق المعنى ، وروده على نمط واحد من الدقة والإحكام ، اختلاف طرق الأداء ، خلوه من الاختلاف والتناقض ، التصوير الفني في القرآن ، علوم القرآن ومعارفه الكثيرة ، وفاؤه بحاجات البشر ، إخباره عن الأمور الغيبية ، تأثيره في النفوس ، طريقة تأليفه ، الإعجاز العلمي ... الخ [١٢] .

♣ مفهوم الإعجاز العلمي ، وموقف العلماء منه :

القارئ للقرآن الكريم ، المتدبر لمعانيه ، يجده قد اشتمل على كثير من الإشارات العلمية والظواهر الكونية ، ويراه قد تطرق إلى شتى العلوم والمعارف ، حيث إن

القرآن الكريم قد تحدث عن علم الفلك ، وعلم الجيولوجيا – طبقات الأرض – ، وعلم الطب ، وعلم التاريخ والجغرافيا ، وعلم الزراعة والنبات ، وعالم البحار ، إلى غير ذلك من العلوم المتعددة ، والحقائق العلمية ، والمعارف الكونية ، التي لم تكن معروفة عند نزول القرآن الكريم ، ثم توصل إليها العلم والعلماء بعد ذلك .

♠ ولقد سَمَّى القرآن الكريم تلك الإشارات بالكلمات ، في مثل قوله تعالى :

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾[١٣] ، وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾[١٤] .

● وهذه الآيات الكونية – المشار إليها بالكلمات – يصعب فهمها فهماً كاملاً في إطارها البياني واللغوي فقط ، على أهمية ذلك وضرورته ، بل لا بد من التَّعرف على ما يقوله العلم التجريبي الحديث في هذا الشأن ، والقرآن الكريم ذاته يدعو إلى ذلك .

● ولذلك حث القرآنُ الناسَ – في كثير من آياته – على النظر في هذا الكون ، وتدبر ما فيه من الآيات البينات ، الدالة على وجـــود الله تعالى ووحدانيته ، ليقودهم بذلك إلى الإيمان بالله تعالى وتوحيده وعبادته ، ومما نقرأه في القرآن قوله تعالى :

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[١٥] .

وقوله تعالى : ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾[١٦] .

وقوله تعالى : ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾[١٧] ، وقوله تعالى : ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[١٨] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾[١٩] .

● هذه الآيات – ونحوها – يمكن اعتبارها أساساً وأصلاً للإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، وكأنَّ الله تبارك وتعالى يدعونا في تلك الآيات إلى الاكتشافات العلمية ، والوصول إلى العلم التجريبي النافع ، وفي كل يوم يكشف لنا العلم الحديث عن كثير من الآيات في الأنفس والآفاق ، كما يكشف لنا الكثير من أسرار هذا الكون الحافل بالأسرار ، وهذا ما يُعرف بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم .

♣ تعريف الإعجاز العلمي في القرآن الكريم :

● عَرَّف الدكتور زغلول النجار الإعجاز العلمي في القرآن بأنه : سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى عدد من حقائق الكون وظواهره ، التي لم تتمكن العلوم المكتسبة من الوصول إلى فهم شيء منها ، إلا بعد قرون متطاولة من نزول القرآن الكريم[٢٠] .

● ويمكن أن يُعرَّف الإعجاز العلمي في القرآن بأنه :

إخبار القرآن الكريم بحقيقة علمية ، أثبتها العلم التجريبي الحديث ، مع ثبوت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن نزول القرآن الكريم [٢١].

❁ الفرق بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي :

الإعجاز العلمي هو كما سبق بيانه ، أما التفسير العلمي فيراد به : الكشف عن معاني الآية في ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية [٢٢].

● وقد عَرَّف الدكتور زغلول النجار التفسير العلمي بأنه : محاولة بشرية لحُسْن فهم الآية القرآنية ، إن أصاب فيها المفسر فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر واحد[٢٣].

وباختصار : يُمْكِن أن يُفَرَّق بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي في نقاط من أهمها :

١– الإعجاز العلمي قطعيّ الدلالة ، أما التفسير العلمي فظنيّ الدلالة .

٢- التفسير العلمي أعم من الإعجاز العلمي ، إذ إن كل إعجاز علمي هو من قبيل التفسير العلمي ، وليس العكس .

٣- الإعجاز العلمي متفق عليه بين العلماء ، أما التفسير العلمي فمختلف فيه ، بل إن من العلماء مَن ينكره ولا يجيزه ، كما سيأتي بيانه قريباً .

٤- وقوع الخطأ في الإعجاز العلمي قليل ونادر ، أما التفسير العلمي فوقوع الخطأ فيه أكثر .

على أن الخطأ في الإعجاز العلمي - إذا وقع - فغالباً ما يقع بسبب عدم الربط بين الحقيقة الشرعية والحقيقة الكونية ، أما الخطأ في التفسير العلمي فيقع بسبب عدم مراعاة الضوابط في هذا المجال ، وقد يكون ذلك سبباً في وقوع الخطأ في فهم كتاب الله تعالى ، ولذلك انحرف كثير من الباحثين المعاصرين عن جادة الصواب ، لمخالفتهم تلك الضوابط ، وعدم التزامهم بالشروط[٢٤] .

● ولذلك نؤكد أن الخطأ في التفسير العلمي ينسحب على المفسر ، ولا يمس جلال القرآن الكريم وكماله في شيء ، والله أعلم .

♦ **موقف العلماء من التفسير العلمي :**

اختلف العلماء تجاه التفسير العلمي إلى فريقين : مجيز ومانع .

ففريق يؤيد هذا اللون من التفسير ، ويجيزه ، بل ويدعو إليه ، ويرى فيه فتحاً جديداً ، وتجديداً في الخطاب الديني ، وأسلوباً حديثاً في طريق الدعوة إلى الله تعالى، وهداية الناس إلى دين الله ، بمنهج جديد يتوافق مع العصر الحاضر ، وهؤلاء هم الأكثرون ، ومنهم : الإمام الغزالي والفخر الرازي والزركشي والسيوطي وابن حجر العسقلاني وجمال الدين القاسمي ومحمد رشيد رضا ومحمد عبد الله دراز ومحمد أمين الشنقيطي والشيخ محمد متولي الشعراوي .

● وفريق آخر من العلماء يمنع هذا اللون من التفسير ، بل وينكره ويعارضه ، ويرى فيه خروجاً بالقرآن عن الهدف الذي أُنزل من أجله ، وإقحاماً له في مجال

التجريب العقلي الذي يخطئ ويصيب ، لأن التفسير العلمي يُعَرِّض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كل زمان ومكان ، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ، ولا الرأي الأخير ، من وجهة نظرهم ، ومن أبرز هؤلاء : الإمام الشاطبي وشيخ الأزهر الأسبق محمود شلتوت والدكتور محمد حسين الذهبي وعباس العقاد وأمين الخولي ، وغيرهم .

● إذاً لم تتفق كلمة العلماء حول التفسير العلمي للقرآن الكريم ، فكما وجدنا له أنصاراً ومؤيدين ، وجدنا له أيضاً منكرين ومانعين ومعارضين ، ولكل وجهة هو موليها ولكل فريق من الأدلة ما يقوي به وجهة نظره .

♣ **وأمام هذا الاختلاف أقول :**

إن الجمع بين المذهبين أوْلى من ترجيح أحدهما على الآخر ، إذا كان الجمع ممكناً ، ويمكن فعلاً أن يجمع بين المذهبين بأن يُقال :

إن كلاً من الفريقين في رأيه على صواب ، فالذين أجازوا هذا اللون من التفسير إنما أجازوه بضوابط وشروط ، تسد الباب أمام الأدعياء الذين يتخرصون في تفسير القرآن الكريم بغير علم .

والذين منعوا هذا اللون من التفسير إنما منعوه في حالة عدم الالتزام بهذه الضوابط ، وعدم توفر هذه الشروط .

♠ فإذا توفرت الضوابط والشروط لهذا اللون من التفسير قبلناه ، وإلا منعناه وأنكرناه .

فما هي تلك الضوابط ؟

لقد وضع مجيزوا التفسير- والإعجاز- العلمي بعض الضوابط والمعايير الخاصة لقبول هذا اللون من التفسير ، أو القول بالإعجاز العلمي في الآية القرآنية ، ومن أهم تلك الضوابط :

١- مراعاة توفر الشروط الواجب توافرها فيمن يتصدى للتفسير بالرأي ، والتزامه بالآداب التي يجب أن يتحلى بها المفسر ، وبُعده عن المنهيات التي يجب أن يتجنبها أثناء العمل في التفسير .

٢- ثبوت الحقيقة العلمية من قِبَل العلماء المتخصصين ، وبشكل مستقر .

٣- ألا يُفَسَّر القرآن إلا بالحقائق اليقينية الثابتة من العلم ، فلا يُفَسَّر بالفروض والنظريات التي لا تزال طور البحث والفحص ، لأنها مُعَرَّضة للتصحيح والتعديل ، إن لم تكن للإبطال .

٤- أن تُجْعَل حقائق القرآن الكريم هي الأصل ، وأن لا تكون موضع نظر ، وأن تُطَوَّع

لها الحقائق الكونية، فما وافقها من حقائق الكون قُبِلَ، وما خالفها أو عارضها رُفِضَ .

٥- أن تكون الدلالة واضحة على تلك الحقيقة في النص القرآني دون تعسف .

٦- ثبوت استحالة معرفة البشر بتلك الحقيقة في زمن النبي ﷺ ، وفي وقت نزول القرآن الكريم .

٧- البُعد عن التأويل الفاسد في بيان إعجاز القرآن العلمي .

٨- مراعاة السياق القرآني للآية الكونية ، دون اجتزاء النص عما قبله وعما بعده.

٩- ضرورة التقيد بما تدل عليه اللغة ، فيجب فهم النص القرآني وفق دلالات الألفاظ في اللغة العربية ، ووفق قواعد النحو والبلاغة.

... والله أعلم ...

﴿ التعريف بسورة الفرقان ﴾

يجدر بنا قبل البدء مع آيات الإعجاز العلمي في سورة الفرقان ، أن نتعرف على هذه السورة الكريمة ، بتمهيد موجز ، نقدمه بين يدي هذه السورة ، فأقول وبالله التوفيق :

أولاً : ترتيب السورة : سورة الفرقان هي الخامسة والعشرون في ترتيب المصحف، وقعت فيه بعد سورة النور ، وقبل سورة الشعراء ، وهي الثانية والأربعون في ترتيب النزول ، عند مَن يقول بجوازه ، نزلت على ما قيل بعد سورة يس ، وقبل سورة فاطر .

ثانياً : زمان نزول السورة : سورة الفرقان سورة مكية بتمامها في قول جمهور العلماء ، وهو مروي عن ابن عباس وابن الزبير ﷺ .

وروي عن ابن عباس وقتادة ﷺ أنها مكية ، إلا ثلاث آيات منها ، نزلت بالمدينة، وهي قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ..... وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (٢٥).

وروي عن الضحاك ﷺ قوله : إنها مدنية ، وعنه أيضاً إنها مدنية إلا من أولها إلى قوله تعالى : ﴿وَلَا نُشُورًا﴾ (٢٦)، فهو مكي(٢٧).

● والقول بمكية السورة كلها هو الراجح ، والله أعلم .

ثالثاً : عدد آيات السورة : سورة الفرقان من السور التي اتُفِقَ على عدد آياتها ، فهي سبعة وسبعون آية باتفاق العلماء العادِّين(٢٨) .

رابعاً : تسمية السورة : سُمِّيَت هذه السورة بسورة الفرقان ، و لم يُعْرَف للسورة غير هذا الاسم ، ووجه تسميتها بذلك : ورود هذا اللفظ في مطلعها ، وذلك في قوله تعالى : ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ (٢٩).

خامساً : مناسبة السورة لما قبلها :

القارئ لسورتي النور والفرقان يجد بينهما ارتباطاً وثيقاً ، يظهر من وجوه عدة ، منها :

في مطلع كلٍ من السورتين حديث عن إنزال القرآن الكريم ، مع تعظيم المنَزِّل سبحانه وتعالى ، وفي كلٍ من السورتين إشارة إلى ملك الله التام للسماوات والأرض ، وفي كلٍ من السورتين إشارة إلى يوم القيامة ، وفي كلٍ من السورتين إشارة إلى تنجيم القرآن الكريم ، وفي كلٍ من السورتين ذكر لبعض صفات المؤمنين الصادقين ، وفي كلٍ من السورتين حديث عن بعض الإشارات العلمية ، والمظاهر الكونية ، وفي كلٍ من السورتين تكريم وتشريف ومدح للنبي ﷺ ، وحث على طاعته وتحذير من مخالفة أمره .

وقال أبو حيان والألوسي : ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها :
أنه لَّما ذكر في آخر السابقة وجوب متابعة المؤمنين للرسول ﷺ ومبايعتهم له ، ومدح المتابعين بأنهم إذا كانوا مع رسول الله ﷺ في أمر مهم توقف انفصال واحد منهم على إذنه ، وحذر سبحانه مَن يخالف أمر رسوله ﷺ ، افتتح سبحانه هذه السورة بما يدل على عظمته سبحانه وتعالى ، وتعاليه جل شأنه عما سواه ، وأنه سبحانه منزه عن النقائص في ذاته وأفعاله وصفاته ، وأنه سبحانه كثير الخير ، مداوم عليه ، ومن خيره سبحانه وتعالى الدائم أنه نزل الفرقان على رسوله محمد ﷺ ليكون للعالمين نذيراً ، فكان في ذلك إطماع في خيره ، وتحذير من عقابه جلَّ وعلا [٣٠] .

سادساً : أهم الموضوعات التي اشتملت عليها السورة :

سورة الفرقان سورة مكية كما سبق بيانه في زمان نزولها ، شأنها إذاً شأن القرآن المكي ، في الاهتمام بقضية العقيدة والإيمان ، وقد عالجت السورة الكريمة هذه القضية من خلال تعرضها للموضوعات الآتية :

الحديث عن القرآن الكريم ، مع إشارة إلى بعض شبهات المشركين الذين أثاروها حول القرآن الكريم وشخص النبي ﷺ ، ثم انتقلت السورة إلى الحديث عن المشركين الذين لا يتوقعون حدوث القيامة ، استكباراً وعتواً ، وكأنَّ القيامة جاءتهم ، فرأوها رأي العين ، مع إشارة سريعة مجملة إلى أصحاب النار وأصحاب الجنة ، ثم ذكرت السورة نموذجاً من المشركين الذين عرفوا الحق وأقروا به وأذعنوا له ، ثم انتكسوا إلى جحيم الضلال ، وارتدوا عن الإسلام مشركين ، وذكرت منهم : عقبة بن أبي معيط وأُبَيِّ بن خلف ، وقد سمى القرآن الأول ظالماً ، وسمى الثاني شيطاناً ، ثم انتقلت السورة إلى تسجيل شكوى الرسول ﷺ لربه من قومه الذين هجروا القرآن الكريم ، وتسلية الله تعالى لنبيه ﷺ ، ببيان أن تلك طبيعة المجرمين تجاه الأنبياء ، ثم انتقلت السورة لذكر قصص بعض الأنبياء إجمالاً ،

موضحة ما حل بأقوامهم المكذبين ، ثم انتقلت السورة للحديث عن دلائل قدرة الله تعالى ووحدانيته ، وعن عجائب صنعه ، وآثار خلقه في هذا الكون البديع ، الذي هو أثر من آثار قدرته سبحانه وتعالى ، ثم انتقلت السورة للحديث عن عباد الرحمن ، فبينت بعض أوصافهم ، ووضحت ما أكرمهم الله تعالى به من الأخلاق الحميدة التي استحقوا بها الأجر العظيم ، في جنات النعيم ، ثم ختمت السورة الكريمة بتصوير هوان البشرية على الله سبحانه .

... والله أعلم ...

﴿ المطلب الأول ﴾

﴿ مـــد الظـــل وقبضـــه ﴾

يقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا . ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ (٣١) .

♣ **أولاً : كـــلام المفسرين القدماء ، ويتلخص فيما يأتي :**

(**ألم ترَ إلى ربك**) خطاب للرسول ﷺ ، أو لكل مَن تتأتى منه الرؤية ، والهمزة للتقرير ، والرؤية إما بصرية وإما قلبية – علمية – ، والأول أوْلى ، لأن البصرية هي التي تتعدى بإلى ، والمعنى : ألم تنظر إلى ... الخ . ويكون الكلام على حذف مضاف والتقدير: ألم تنظر إلى صنع ربك ، لأنه ليس المقصود رؤية ذات الله ﷻ. ويجوز أن تكون الرؤية قلبية – علمية – أي: ألم تعلم ... ، وهذا من رؤية القلب، وعليه : فليس هناك مضاف مقدر ، ويكون تعدية الرؤية بإلى لتضمنها معنى الانتهاء ، أي : ألم ينتهِ علمك إلى أن ربك كيف مد الظل .

لكن الأول – البصرية – أوْلى كما ذكرنا .

والتعرض لعنوان الربوبية – **ربك** – مع الإضافة : لتشريف المخاطب ، وللإيذان بأن ما يعقبه من آثار ربوبيته تعالى ورحمته .

(**كيف مد الظل**) كيف : سؤال عن الحال ، والكلام على القلب ، والتقدير : ألم تر إلى الظل كيف مده ربك ، والمد : البســـط ، فمَدَ الظل أي جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس .

وحقيقة الظل – كما قال المفسرون – هو الأمر المتوسط بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة ، وهو يحدث على وجه الأرض منبسطاً فيما بين ظهور الفجر إلى طلوع الشمس ، ثم إن الشمس تنسخه وتزيله شيئاً فشيئاً إلى الزوال ، ثم هو ينسخ ضوء الشمس من وقت الزوال إلى الغروب ، ويسمى فيئاً [٣٢] .

والظل هنا – في قول الجمهور – من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، وقيل هو من غيبوبة الشمس إلى طلوعها ، وقيل : الظل هو ما نسخته الشمس ، والفيء : ما نَسَخَ الشمس ، وقيل : الظل بالغداة والفيء بالعشي وقيل : ما لم تكن عليه الشمس : ظل ، وما كانت عليه فزالت : فيء ، وقيل : كل ما كانت عليه الشمس فزالت فهو ظل وفيء ، وما لم تكن عليه الشمس فهو ظل .

(**ولو شاء لجعله ساكناً**) أي لو شاء ربك لجعل الظل ساكناً مستقراً في مكان واحد لا يزول ولا يتحول عنه ، ولا تنسخه الشمس ، وقيل : معنى ساكناً أي : لاصقاً بأصل كل مظل ، من جبل وبناء وشجر ونحوه ، فيكون غير منبسط ، فلا ينتفع به أحد ، ولكن الله تعالى بقدرته ينقل الظل من مكان إلى مكان ، ومن جهة إلى جهة ، فتارة يكون جهة المشرق ، وتارة يكون جهة المغرب ، وتارة يكون من الأمام ، وتارة من الخلف ، وقيل معنى (جعله ســـاكناً) أي إلى يوم القيامة ، وقيل المعنى : لو شاء لمنع الشمس الطلوع .

(**ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً**) أي جعلنا طلوع الشمس دليلاً على وجود الظل، فلولا طلوع الشمس ووقوع ضوئها على الأجرام ما عُرف أن للظل وجوداً، والأشياء إنما تُعْرَف وتتميز بأضدادها ، فلولا الظلمة ما عُرف النور ، ولولا الشمس ما عُرف الظل .

فالدليل : فعيل بمعنى الفاعل ، وقيل هو فعيل بمعنى المفعول ، كالقتيل ، والمعنى : دللنا الشمس على الظل حتى ذهبت به ، أي أتبعناها إياه ، والدليل بمعنى الحجة والبرهان ، وهو الذي يكشف المشكل ويوضحه ، ولم يؤنث الدليل – مع أنه صفة للشمس – لأنه في معنى الاسم، كما يقال : الشمس برهان ، والشمس حق.

(**ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً**) أي أزلنا هذا الظل بالتدرج والمهل شيئاً فشيئاً ، وقليلاً قليلاً ، لا دفعة واحدة ، لئلا تختل المصالح ، وفي هذا القبض اليسير من المنافع ما لا يُعد ولا يُحصى ، ولو قبضه دفعة واحدة لتعطلت أكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعاً ، وقبضه إليه سبحانه بأن ينسخه بضوء الشمس .

ويحتمل أن يراد قبضه عند قيام الساعة ، وذلك بقبض أسبابه ، وهي الأجرام التي تبقي الظل ، فيكون قد ذكر إعدامه بإعدام أسبابه ، كما ذكر إنشاءه بإنشاء أسبابه .

وقوله تعالى (**إلينا**) يدل على ذلك ، والتعبير بالماضي – قبضناه – لتحقق وقوعه.

● وقوله تعالى (**إلينا**) للتنصيص على كون مرجع الظل إليه ﷻ ، لا يشاركه حقيقة أحد في إزالته ، كما أن حدوثه منه سبحانه، لا يشاركه حقيقة فيه أحد.

و(**ثم**) للتراخي ، وهو هنا يحتمل التراخي الزمني ، كما يحتمل التراخي الرتبي ، وقيل معنى (قبضاً يسيراً) أي: يسيراً قبضه علينا ، وكل أمر ربنا عليه يسير ....، وقيل : (يسيراً) أي : خفياً .

● **وهكذا** نجد القول الكريم في تعبير رائع يرسم لنا هذا المشهد العظيم ، مشهد الظل وهو في يد القدرة الإلهية ، تمده في رفق ، وتقبضه في لطف ، وهذا من عجائب صنع الله تعالى في هذا الكون الفسيح[٣٣]، والله أعلم بأسرار كتابه .

♣ **ثانياً : حقائق العلم الحديث ، ووجه الإعجاز في الآية :**

يُعد الحديث عن مد الظل وقبضه من الإشارات العلمية الواردة في القرآن الكريم ، ووجودها يدل على وجود الإعجاز العلمي في القرآن ، وقد كان المفسرون

القدامى – كما رأينا سابقاً – يعتقدون أن انتقال الظل مرهون بانتقال الشمس من المشرق إلى المغرب ، حتى جـــاء العلم الحديث ليثبت في هذا العصر أن ظاهرة الظل من أقوى الأدلة على دوران الأرض وتحركها ، وهذا يُعد ضرورة لحياة الكائنات الحية على وجه الأرض .

يقول الدكتور موريس بوكاي : أما ظاهرة الظل وانتقاله ، تلك التي نجد تعليلها عادياً في عصرنا ، فإنها موضع تأملات في الآيات التالية : ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا﴾ [٣٤]، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾ [٣٥]، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا . ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [٣٦].

يشير القول الكريم إلى العلاقة بين الظل والشمس ، وذلك خارج كل ما يتصل بخشوع كل شيء مخلوق أمام الله ، بما في ذلك ظلال كل شيء ، واسترداد[٣٧] الله كما يريد لكل دليل على قدرته .

● وفي هذا الشأن لا بد أن نذكر أن الناس كانوا يعتقدون في عصر محـــمد ﷺ أن انتقال الظل مشروط بانتقال الشمس من الشـــرق إلى الغرب ، وكـــان تطبيق هذا في المِزْوَلَة [٣٨] الشمسية لقياس الزمن بين شروق الشمس وغروبها ، أما هنا فيشير القرآن إلى الظاهرة دون إشـــارة إلى تعليلها الجاري في عصر تنزيله ، وقد كـــان يمكن لهذا التعليل أن يلقى استحسان الناس طيلة القرون التي تلت عصر محمد ﷺ ، وكان ذلك يصبح خاطئاً في نهاية الأمر ، أيضاً فإن القرآن يتحدث فقط عن دوران الشمس كمؤشر للظل ، ويلاحظ هنا الغياب التام لأي عدم اتفاق بين الطريقة التي يذكر بها القرآن الظل ، وبين ما نعرف عن هذه الظاهرة في العصر الحديث ، أ.هـــ[٣٩] .

● ومن الحقائق التي أكدها العلم الحديث أن الأرض التي نعيش عليها ونشعر بثباتها واستقرارها ، هي في الحقيقة متحركة وليست ثابتة ، بل إنَّ لها حركات متعددة .

فمما أثبته العلم الحديث أن للأرض حركات ثلاث : الأولى : حول نفسها ، والثانية : حول الشمس ، والثالثة : حول مركز المجرة ، مع المجموعة الشمسية .

● هذا ما توصل إليه العلم حتى الآن ، وربما كانت هناك حركـــات أخرى لا يعلمها إلا الله ، و لم يكتشفها العلم بعد .

● أما دوران الأرض حول نفسها – على ما أكده العلم الحديث – فخلاصته على ما جاء في الموسوعة الأكاديمية الأمريكية :

إن الأرض– من الناحية الفلكية – تدور حول نفسها وتتحرك في محورها الوهمي في مدة يوم واحد ، وينتج عن هذا الدوران حدوث الليل والنهار وتعاقبهما ، كما ينتج عنه اختلاف التوقيت على سطح الأرض ، حسب شروق الشمس وغروبها .

● يقول علماء الفلك : إن الأرض تحتاج لتدور حول نفسها مدة تبلغ ٢٣ ساعة و٥٦ دقيقة ، بحساب الساعة العادية [٤٠] .

● وحسب المعلومات المسجلة والمؤكدة فلكياً فإن سرعة دوران الأرض حول نفسها في المنطقة الاستوائية يبلغ حوالي ١٦٧٤ كيلومتر في الساعة الواحدة ، يعني حوالي ٢٨ كيلومتر في الدقيقة الواحدة ، أي ما يعادل ٤٦٥ متراً في الثانية الواحدة ...

● وأما دوران الأرض حول الشمس فخلاصته – على ما أكده العلم الحديث أيضاً – وعلى ما جاء في الموسوعة الأكاديمية الأمريكية :

إن الأرض تتحرك وتدور حول الشمس ، من الغرب إلى الشرق ، في مدار بيضاوي ، بحيث تقع الشمس في إحدى بؤرتيه ، وذلك في مدة سنة واحدة ، ولأن شكل هذا المدار بيضاوي ، فإن الأرض لا تبقى على مسافة واحدة من الشمس، بل إن المسافة تتغير بين الأرض والشمس ، بحسب أقرب وأبعد نقطة لها، وينتج عن هذا الدوران حدوث فصول السنة الأربعة : الشتاء والربيع والصيف والخريف ، وأثناء هذا تتغير أيضاً سرعة دوران الأرض ، فكلما اقتربت الأرض من الشمس ازدادت سرعتها ، وكلما ابتعدت عنها تباطأت سرعتها ، وذلك بسبب ازدياد أو انخفاض قوة الجاذبية المؤثرة بها

● وحسب المعلومات المسجلة والمؤكدة فلكياً في هذا المجال أيضاً ، فإن متوسط سرعة دوران الأرض حول الشمس يبلغ حوالي ١٠٨٠٠٠ كيلومتر في الساعة الواحدة ، يعني حوالي ١٨٠٠ كيلومتر في الدقيقة ، أي : ما يعادل ٣٠ كيلومتر في الثانية الواحدة.

■ مما سبق يتضح لنا أن الأرض تدور دورتين أساسيتين ، الأولى منها دورة يومية حول نفسها ، من أجل حدوث ظاهرة تعاقب الليل والنهار، والثانية دورة سنوية حول الشمس ، من أجل حدوث ظاهرة الفصول الأربعة .

هذا ما أكدته الحقائق العلمية في العصر الحديث .

❁ وقبل أن أختم هذا المطلب ، أود التنبيه على أمرين هامين :

الأول : أن القرآن الكريم قد أشار في غير موضع منه إلى ظاهرة دوران الأرض ، **والثاني** : أن من المفسرين المعاصرين مَن أشار إلى هذه الظاهرة أيضاً ، وأنها سبب في حدوث ظاهرة الظل .

● **أما الأمر الأول** : فإن المتدبر لآيات القرآن الكريم يجده قد تحدث في آيات كثيرة عن دوران الأرض ، وإن كان ذلك بطريق غير مباشر ، ومن هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴾[٤١]، ففي هذه الآية إشارة دقيقة إلى حركة الأرض ، فكلمة (كفاتاً) تأتي على معنيين :

١– الضم والجمع ، وهذا ما ذكره قدامى المفسرين في معنى الآية ، قالوا معناها : ألم نجعل الأرض ضامة للأحياء على ظهرها ، والأموات في باطنها ، تضمهم وتجمعهم[٤٢].

٢– السرعة ، قال في الصحاح : وكَفَتَ أي : أسرع ، والكَفْتُ : السَّوْق الشديد ، ورجل كَفْتٌ وكَفِيتٌ أي : سريع[٤٣].

● وإن كان قوله تعالى (أحياءً وأمواتاً)[٤٤] بعد قوله تعالى (كفاتاً) يُرَجِّح أن المعنى الأول هو المقصود ، إلا أنه لا مانع من اعتبار المعنى الثاني وهو السرعة ، والقرآن حمَّال أوجه كما نعلم .

● ومن هذه الآيات أيضاً قوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[٤٥]، فوصف الأرض بالذلول – الذي يطلق عادة على الدابة – مقصود في إطلاقه على الأرض ، فدل ذلك على حركة الأرض وعدم ثباتها .

● ومن هذه الآيات أيضاً قوله تعالى : ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾[٤٦].

ففي الآية إشارة صريحة إلى أن الجبال التي نراها ثابتة مستقرة هي في حقيقتها تدور مع الأرض دوراناً سريعاً كالسحاب .

ولا يُقال إننا نراها ثابتة لا تتحرك من مكانها ؟ لأننا نقول : إن رؤيتها هكذا لأن الأرض أيضاً تدور ، وهي تدور بدوران الأرض ، وإنما مثل ذلك كمثل قطارين انطلقا في وقت واحد ، وبسرعة واحدة وفي اتجاه واحد ، فإن الراكب في أحدهما إذا نظر إلى الراكب الموازي له في القطار الآخر ، يظنه ثابتاً لا يتحرك ، وهكذا حركة الجبال مع الأرض .

● **وأما الأمر الثاني** : فإن من المفسرين المعاصرين مَن أشار إلى ظاهرة دوران الأرض وحركتها ، ومِن هؤلاء الأعلام على سبيل المثال لا الحصر : الشيخ محمد متولي الشعراوي ، وصاحب الظلال رحمهما الله[٤٧].

♣ **وفي الختام نتساءل : ما وجه الإعجاز في الآية ؟**

وللجواب نقول : إن وجه الإعجاز في هذا الموضع القرآني ، هو أن الآيات أشارت إلى ظاهرة دوران الأرض ، قبل أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان ، وهو ما كشف عنه العلم في العصر الحديث ، ربما كان أول اكتشافه في القرن السابع عشر الميلادي .

فلم يعرف الناس شيئاً عن دوران الأرض قبل هذا القرن .

. والله أعلم بأسرار كتابه .

﴿ المطلب الثاني ﴾

﴿ مهمة الرياح في نقل السحب وإنزال المطر ﴾

يقول الله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾ (٤٨).

♣ أولاً : كـــلام المفسرين القدماء ويتلخص في أن المعنى المراد من الآية هو :

أن الله ﷻ من رحمته أنه يرسل الرياح مبشرة بنزول المطر، على أن في قوله تعالى (بشراً) قراءات متعددة ، حيث إن القُرَّاء قد اختلفوا في قراءة هذه الكلمة هنا وفي سورتي الأعراف والنمل(٤٩)، ففي المواضع الثلاثة قرأ عاصم (بُشْراً) بالباء المضمومة وإسكان الشين ، جمع بشير ، والمعنى أن الرياح تبشر بالمطر ، وشاهده قوله تعالى : ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ ....﴾ (٥٠) .

وقرأ ابن عامر (نُشْراً) بالنون المضمومة وإسكان الشين ، جمع نَشُور كصبور ، في قولك : امرأة صبور، وهي مخففة من(نُشُراً) .

وقرأ حمزة والكسائي وخلف والأعمش : (نَشْراً) بالنون المفتوحة وإسكان الشين ، على أنه مصدر واقع موقع الحال ، وصف به مبالغة ، بمعنى : ناشرة ، أو منشورة ، أو ذات نشر ، وشاهده قوله تعالى : ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرًا﴾ (٥١)، وهي الرياح المتتابعة التي تهب من كل وجه ، وتنتشر انتشاراً عظيماً في الآفاق والجهات.

وقرأ الباقون(٥٢) – في المتواتر – (نُشُراً) بالنون المضمومة وضم الشين ، جمع ناشر ، كنُزُول جمع نازل ، وشُهُد جمع شاهد ، ويجوز أن يكون جمع (نَشُور) ، كرُسُل جمع رسول ، والنُّشُور بمعنى المنشور ، كالرُكُوب بمعنى المركوب ، وكل القراءات السابقة متواترة (٥٣) ، وقرئ في الشواذ بغير ذلك(٥٤) ، والمعنى واحد .

(**بين يدي رحمته**) أي قبيل المطر الذي هو من رحمة الله ﷻ(٥٥).

وأصل عبارة (بين يدي) لبيان المكان الذي يكون أمام الشـــخص ، محصوراً بين جهتي يمينه وشماله ، فحقيقة قولهم (جلست بين يدي فلان) أن تجلس بين العضوين ، فتجوِّز بذلك عن الجهتين المقابلتين ليمينه وشماله قريباً منه ، بإطلاق اليدين على ما يجاورهما توسعاً ،كما يُسَمِّى الشيء باسم غيره إذا جاوره ، فهو من المجاز المرسل .

وقد يتوسع في هذه العبارة (بين يدي) لتشمل الأمور المعنوية أو الزمانية ، ومنه قولهم (بين يدي الساعة) ، وقد جرت هذه العبارة على سنن من المجاز ، وهو الذي يسميه أهل البيان (تمثيلاً) ، ففي الآية استعارة تمثيلية .

قال الإمام الرازي : فمعنى (بين يدي رحمته) أي بين يدي المطر الذي هو رحمته ، والسبب في حسن هذا المجاز أن اليدين يستعملهما العرب في معنى التقدمة ، على سبيل المجاز ، يقال : إن الفتن تحدث بين يدي الساعة ، يريدون قبيلها ، والسبب في حسن هذا المجاز أن يدي الإنسان متقدماته ، فكل ما كان يتقدم شيئاً يطلق عليه لفظ اليدين على سبيل المجاز ، لأجل هذه المشابهة ، فلمَّا كانت الرياح تتقدم المطر ، لا جرم عبر عنها بهذا اللفظ .

فإن قيل : فقد نجد المطر ولا تتقدمه الرياح ؟

فنقول : ليس في الآية أن هذا التقدم حاصل في كل الأحوال ، فلم يتوجه السؤال. وأيضاً يجوز أن تتقدمه هذه الرياح وإن كنا لا نشعر بها ، أ،هـــــ[٥٦].

(**وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً**) أي أنزلنا من الســـحاب الذي أنشأته الرياح وساقته ماءً طاهراً مطهراً ، تشربون منه وتتطهرون به ، بليغ الطهارة ، زائدها .

والالتفات إلى نون العظمة في قوله (وأنزلنا) لإبراز كمال العناية بالإنزال ، لأنه نتيجة ما ذكر من إرسال الرياح ، أي أنزلناه بعظمتنا ، بما رتبنا من إرسال الرياح من جهة العلو ، التي ليست مظنة الماء ، أو من السحاب ، أو من الجرم المعلوم ، والله أعلم[٥٧].

♣ **ثانياً : حقائق العلم الحديث ، ووجه الإعجاز في الآية :**

لقد أكد القرآن الكريم مدى التلازم بين الرياح والسحب والمطر ، فقد بَيَّن القرآن أن الرياح هي التي تدفع السحاب وتحمله ، وهي كذلك التي تنشأه ، وهذا ما قرره العلم الحديث في حقائقه الثابتة ، والتي تتلخص في أن الرياح هي السبب في إنشاء السحب وإنزال المطر ، وهذا ما أثبته علماء الأرصاد الجوية في عصر النهضة العلمية .

فالرياح إذاً كما أنها من أهم العوامل الأساسية في تلقيح كثير من النباتات ، هي كذلك تقوم بعملية تلقيح السحاب ليجود بالمطر .

♦ **وتفسير ذلك علمياً** : أن الرياح إذا هبت أثارت وجه البحار ، فيحدث بخار الماء الذي يتصاعد إلى السماء ، ليُكَوِّنَ السحب ، التي تدفعها الرياح بعد ذلك ، إلى حيث يشاء الله تعالى .

● ولقد أثبت العلم الحديث في حقائقه أن الرياح لا تغذي السحب ببخار الماء وحده بل إنها تقوم بعملية تلقيح السحاب .

● وعملية التلقيح هذه تتضمن إمداد الرياحُ السحبَ بجسيمات مجهرية صغيرة من مساحيق[٥٨] تمتصها ، تتجمع عليها جزيئات بخار الماء ، ثم تتطاير هذه المساحيق مع الرياح لتكون فقط المطر النامية ، وتسمى تلك الجسيمات بـ (نوى التكاثف) ، وهي المرادة من كلمة (لواقح) ، التي جاءت في القرآن الكريم ، في قوله تعالى : ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً .....﴾[٥٩] .

يقول الدكتور موريس بوكاي تعليقاً على الآية السابقة :

بالنسبة لهذه الآية فهناك إمكانيتان للتفسير : يمكن اعتبار الرياح مخصبة للنباتات بواسطة نقل اللقاح ، ولكن قد يكون المقصود هو صورة تعبيرية تذكر قياساً دور الريح الذي يجعل من سحابة لا تعطي مطراً ، سحابة تفك المطرة الفجائية ، وكثيراً ما يذكر هذا الدور ، مثلما نرى في آيات القرآن الكريم ، أ.هـ[٦٠] .

♠ لقد آمن العلماء بأنه عندما تتوافر أبخرة المياه في الرياح فإن السحب تمطر طبيعياً ، ولا تكون هناك حاجة إلى المطر الصناعي ، الذي يلجأ إليه العلماء باستمطار السحب ، عبر تلقيحها بنوى التكاثف بطريقة صناعية ، بواسطة الطائرات ، أو المولدات الأرضية .

● أما إذا كانت الرياح عقيماً فلا سبيل إلى نجاح عملية المطر الصناعي ، وسبحان الله القائل : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ . ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾ (٦١) .

● وقبل أن نصل إلى وجه الإعجاز في الآية الكريمة نود التأكيد على هذه الحقيقة القرآنية ، حيث إن القرآن الكريم قد مَسَّ قضية التلازم بين الرياح والسحب والمطر في أكثر من موضع .

وأشار القرآن الكريم إلى سوق الرياح للسحاب وتلقيحها له ، وكونها سبباً لإنزال المطر فتلك حقيقة كونية كبرى ، تحدث عنها القرآن في آيات كثيرة ، منها قوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ ﴾ (٦٢) وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ ... ﴾ (٦٣)، وقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ ... ﴾ (٦٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَـٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ (٦٥) .

إلى غير ذلك من الآيات التي تمس هذه القضية الكونية الكبرى .

❁ **ولقد اشتملت الآيات على حقيقتين علميتين :**

إحداهما : أن الرياح هي التي تنشأ السحب عن طريق تلقيحها ، لتجود السحب بالمطر .

والثانية : أن هذا المطر لا سبيل إلى خزنه على الدوام في مكان معين ، من غير أن يترل إلى الأرض ، ويتسرب إلى البحر ، لتتم العملية الطبيعية ، التي تُعرف اليوم باسم الدورة المائية ، أو دورة الجو المائية ، التي تتم بين الجو وماء الأرض (٦٦) .

♣ **وجه الإعجاز في الآية الكريمة :**

إن الإعجاز العلمي في آية الفرقان – الواقعة بين أيدينا – هو أن القرآن الكريم منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة قد ربط بين إثارة السحب ونزول المطر بإرسال الرياح ، وهي حقيقة علمية لم يعرفها البشر إلا في عصر النهضة العلمية الحديثة ، و لم تكن معلومة للناس في عصر نزول القرآن الكريم .

... والله تعالى أعلم بأسرار كتابه ...

﴿ المطلب الثالث ﴾

﴿ مرج البحـــرين والحـــاجز بينهما ﴾

يقول الله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ (٦٧).

♣ أولاً : كـــلام المفسرين القدماء ويتلخص في أن المعنى المراد من الآية هو :

أن الله ﷻ بقدرته مرج البحرين أي خلاهما وخلطهما وأرسلهما في مجاريهما متجاورين متلاصقين يلتقيان ولا يمتزجان ، وأصلُ المَرَجِ : الخَلْطُ ، ومنه : الهَرَج والمَرَج ، والمُرُوجُ : الاخْتِلاطُ ، يقالُ : مَرِجَ أمْرُهُمْ يعني اخْتَلَطَ ، وأَمْرٌ مَرِيجٌ يعني مُخْتَلِطٌ ، ومنه قوله تعالى ﴿فَهُمْ فِيٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾(٦٨)، وأمْرَجْتُ الدَّابَّةَ في المرعى ومَرَجْتُها : أَرْسَلْتُهَا فيه لترعى(٦٩).

وسمي المَرْعَى مرجاً لاختلاط النبات فيه ، وقيل للمرج مرج : لاختلاط الدواب فيه .

وهل المراد بالبحرين العموم أو الخصوص ؟ بكلٍ قيل .

فقيل : أراد بالبحرين الماء الكثير العذب والماء الكثير المالح ، من غير تخصيص ببحرين معينين ، وقيل : أراد بحرين معينين ، وقد اختلفوا في المراد منهما .

فقيل أراد بالبحر العذب الأنهار العظيمة التي تجري ، كالنيل والفرات ، وأراد بالبحر الأجاج البحار الكبار والمحيطات التي لا تجري .

وروي عن الحسن أنه قال : أراد بهما بحر فارس والروم .

وروي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال : أراد بهما بحر السماء ، وبحر

الأرض ، يلتقيان في كل عام[٧٠] .

(**هذا عذب فرات**) يعني شديد العذوبة بليغ الحلاوة ، قاطع للعطش من فرط عذوبته ، قيل سمي الماء الحلو فراتاً لأنه يكسر سورة العطش ويقطعها ويقمعها ، مأخوذ من الفرت ، الذي هو مقلوب الرفت ، بمعنى الكسر ، فرَفَتَه بمعنى كَسَرَه[٧١] .

(**وهذا ملح أجاج**) يعني بليغ الملوحة ، شديد المرارة ، فالأجاج نقيض الفرات .

(**وجعل بينهما برزخاً**) أي هو سبحانه وتعالى جعل بين البحرين حائلاً ، فلا يغلب أحدهما على الآخر ، والأكثرون على أن البرزخ هو الحاجز المانع من قدرة الله تعالى ، فالله ﷻ بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج ، حيث جعل سبحانه من قدرته حائلاً بين البحرين غير مرئي كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [٧٢]، أي هو سبحانه بقدرته رفع السماوات بغير أعمدة ، فهي لا عمد لها أصلاً ، وإنما هي مرفوعة بقدرته ﷻ ، وأنتم ترون ذلك بأعينكم ، فالبحران مختلطان في مرائي العين ، لكنهما منفصلان بقدرة الله سبحانه .

■ وذهب البعض إلى أن المراد من البرزخ ما بين البحرين من الأرض اليابسة ، أو البلاد والقفار ، وما شابه ذلك ، لكني أراه بعيداً .

وسياق الآية لا يساعد عليه ، حيث إن الله تعالى قد أخبر في أول الآية أنه (مرج البحرين) والمرج هو الخلط ، كما سبق بيانه ، فلو كان البرزخ بين البحرين أرضاً أو يبساً ، لم يكن هناك مرج للبحرين ، وإنما عرفنا قدرة الله تعالى بحجزه الملح الأجاج عن إفساد العذب الفرات ، مع اختلاط كل واحد منهما بصاحبه ، فأما إذا كان كل واحد منهما في حيز عن صاحبه ، فليس هناك مرج[٧٣] .

■ وذهب البعض إلى أن المراد بالبرزخ بين البحرين : الواسطة بينهما ، أي أن الله تعالى جعل بين البحر العذب الشديد العذوبة والبحر الملح الشديد الملوحة ماءً

متوسطاً ليس بالشديد العذوبة ولا بالشديد الملوحة ، وهو قطعة من العذب الفرات عند موضع التلاقي ، مازجها شيء من الملح الأجاج ، فكسر سورة عذوبتها ، وقطعة من الملح الأجاج عند موضع التلاقي أيضاً ، مازجها شيء من العذب الفرات ، فكسر سورة ملوحتها ، ويكون التنافر البليغ بينهما المفهوم من قوله سبحانه (وحجراً محجوراً) فيما عدا ذلك ، وهو ما لم يتأثر بصاحبه منهما ، بل يبقى على صفته من العذوبة الشديدة والملوحة الشديدة [٧٤] .

(**وحجراً محجوراً**) معناه تنافراً بليغاً مفرطاً ، وقيل : حداً محدوداً ، وقيل : ستراً مستوراً ، وقيل : مانعاً يمنع أحدهما من الاختلاط بالآخر ، وقيل : حراماً محرماً على صاحبه أن يفسده ويغيره ، وقيل : هي الكلمة التي يقولها المتعوِّذ .

وهي هنا واقعة على سبيل المجاز ، كأنَّ كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ، ويقول له : حجراً محجوراً [٧٥] .

● وهذه الآية كقوله تعالى في سورة الرحمن : ﴿**مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ . بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ**﴾ [٧٦]، أي لا يبغي أحدهما على صاحبه بالممازجة ، فانتفاء البغي في سورة الرحمن كالتعوذ في سورة الفرقان ، فجعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه ، وهي استعارة تمثيلية ، من أحسن الاستعارات ، وأشهدها على البلاغة [٧٧].

♠ وحاصل المعنى في الآية الكريمة أنه تعالى جعل البحرين مختلطين في مرأى العين ، ومنفصلين في التحقيق بقدرته ﷻ أكمل انفصال ، بحيث لا يختلط العذب بالملح ، ولا الملح بالعذب ، ولا يتغير طعم كل منهما بالآخر أصلاً .

● والمراد لزوم كل منهما لصفته من العذوبة والملوحة ، فلا يفسد العذبُ المالحَ ولا المالحُ العذبَ ، ولا ينقلب البحر العذب ملحاً في مكانه ، ولا البحر الملح عذباً في مكانه ، وذلك من كمال قدرته سبحانه وبالغ حكمته ﷻ . والله أعلم [٧٨] .

♣ **ثانياً : حقائق العلم الحديث ، ووجه الإعجاز في الآية :**

لقد أثبت العلم الحديث في الواقع المعاصر ، بما أضحى من الحقائق والمسلمات البدهية أنه إذا التقى نهران في ممر مائي ، أو التقى بحران مالحان ، أو التقى النهر العذب مع البحر المالح ، فإن ماء أحدهما لا يدخل في الآخر ، ولا يذوب فيه ، بل يمكن مشاهدة أحدهما مستقلاً عن الآخر ، وكأنَّ خيطاً - كحد فاصل - يمر بينهما ، وقد يكون الماء عذباً في جانب وملحاً في جانب آخر ، وهذا هو المشاهد عند التقاء مياه الأنهار بمياه البحار ، كملتقى نهر النيل بالبحر الأبيض المتوسط .

فمياه الأنهار إذا انسابت واختلطت بمياه البحار لا تمتزج بها ، لأن ثمة حاجزاً يمنع طغيان كل منهما على الأخرى .

♦ ويشير الدكتور زغلول النجار إلى تدفق النهر إلى البحر فيقول : ماء النهر عذب، وماء البحر مالح ، والماء هو أعظم مذيب يعرفه الإنسان ، هذا الماء الذي يذيب أكثر المواد الصلبة ، جعل له ربنا صفة خاصة ، أنه يختلط ولا يمتزج امتزاجاً كاملاً ، وجعل بين البحرين حاجزاً ، يعني أن الماء المتجاور يختلف ، كأن هناك حاجزاً فعلاً ، أ.هـ[٧٩] .

■ ولقد درس أساتذة البحار ظاهرة التقاء مياه الأنهار بمياه البحار ، وتوصلوا إلى علم مفاده أن مياه النهر عند التقائها بمياه البحر تنكسر- بشكل جبهة - وتعود ، كما أن مياه البحر عند التقائها بمياه النهر - عند حدوث المد البحري - تنكسر وتعود ، وأن البرزخ الحاصل بينهما ، أو الفاصل بين المائين كذلك له خصائصه المميزة ، وزيادة على ذلك فإن له أسماكاً وحيوانات خاصة به تماماً ، وأن هذا البرزخ يشكل فاصلاً من السطح حتى الأعماق ، وكأنَّ هذا الفاصل حجراً محجوراً على أسماك معينة خاصة[٨٠].

■ وإذا ما جئنا إلى التقاء بحر مالح بآخر مالح ، فقد أثبت علماء البحار أيضاً أن هناك حاجزاً مائياً بين البحار المالحة ، حيث إن لكل بحر خاصيته من الكثافة والملوحة ودرجة الحرارة ، بحث يختلف عن غيره ، ويبقى محافظاً على خصائصه وحدوده بشكل دائم ، بسبب وجود هذا الحاجز الفاصل ، على أن هذا الحاجز

يغاير خاصية كل من البحرين ، بحيث يختلف بصفاته وأحيائه المائية ، وقابلية ذوبان الأوكسجين فيه ، عن كل من البحرين ، ويكون وسطاً من تشكل البحرين[٨١] .

وهذا الحاجز يفصل بين كل بحرين ، بحيث لا يبغي أحدهما على الآخر بخصائصه ومزياته ، كالحاجز الموجود عند التقاء مياه البحر الأبيض المتوسط الساخنة والمالحة، مـــع مياه المحيط الأطلنطي ، ذي المياه الباردة والأقل ملوحة .

■ وقد ثبت أن امتزاج مياه البحار يتم عبر هذه الحواجز المائية ، بطريقة بطيئة ، بحيث يتحول معها الماء الذي يعبر الحاجز إلى خصائص البحر الذي دخل فيه .

■ وهكذا يحدث الامتزاج بين مياه البحر المالحة ، مع محافظة كل بحر على خصائصه وحدوده المحدودة بوجود تلك الحواجز المائية بين البحار[٨٢] ... والله أعلم .

♣ وجه الإعجاز في الآية الكريمة :

إن الإعجاز العلمي في هذه الآية يتمثل في إخبار القرآن الكريم منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة عن هذه الحقائق العلمية المائية ، التي توصل إليها علماء البحار في العصر الحديث ، ولم تكن تلك الحقائق معلومة للناس في عصر نزول القرآن الكريم، خاصة وأن العرب ثمة كانوا يعيشون في بيئة صحراوية ، لا علم لهم بتلك الحقائق المائية ولم يكن لمحمد ﷺ أي علاقة بعلم البحار ، حتى يخبر بهذه الحقائق ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن القرآن الكريم ليس من صنع محمد ﷺ كما يدعي المبطلون ، وإنما هو وحي أوحاه الله تعالى إليه ، وقرآن كريم أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض .

﴿ المطلب الرابع ﴾

﴿ خـــلق الإنســـان مـــن مـــاء ﴾

يقول الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ (٨٣) .

♣ **أولاً : كـــلام المفسرين القدماء :**

يتلخص كلام المفسرين القدماء في أن المعنى المراد من الآية الكريمة هو أن الله تعالى بقدرته البالغة العظيمة خلق من الماء بشراً ، وذكروا قولين في المراد من الماء هنا :

أحدهما : أنه أراد بالماء : الماء المعروف ، الذي خلق الله تعالى منه أصول الأحياء ، وهو المعنيّ بقوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ (٨٤)، وبقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ (٨٥)، وتكون الإشارة فيه إلى أصل الخِلقة ، في أن كل حيّ مخلوق من الماء ، فتعريف الماء للجنس ، وعليه يكون المراد من البشر : آدم عليه السلام ، وتنوينه للتعظيم ، أو جنس البشر الصادق على آدم وذريته ، ومعنى الآية : إن الله تعالى خلق من الماء الذي خمر به طينة آدم عليه السلام بشـــراً ، أو جعل هذا الماء جزءاً من مادة البشر ، لتجتمع وتسلس(٨٦) ، وتستعد لقبول الأشكال والهيئات بسهولة .

الثاني : أن المراد من الماء هنا النطفة ، لقوله تعالى : ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ (٨٧) ، وقوله تعالى : ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ . ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ (٨٨) .

وحينئذٍ يتعين حمل البشر على العموم ، وهم أولاد آدم عليه السلام ، ويكون المعنى : خلق من ماء النطفة إنساناً فجعله نسباً وصهراً .

♠ والظاهر حمل الآية على العموم ، فيكون المراد من الماء : النطفة ، ومن البشر : بنو آدم ، والله أعلم .

♠ والواو في قوله تعالى (فجعله نسباً وصهراً) للتقسيم ، والمعنى : أن الله تعالى بقدرته البالغة وحكمته العظيمة ، قسم البشر قسمين : ذكوراً وإناثاً ، فأشار إلى

الأول بقوله تعالى (نسباً) ، أي ذوي نسب ، والمراد : ذكوراً ينسب إليهم ، فيقال: فلان بن فلان وفلانة بنت فلان ، وأشار سبحانه إلى الثاني بقوله : (وصهراً) ، أي ذوات صهر ، يعني أناثاً يُصاهر بهن .

فالبنين يتعارفون ويتواصلون، وبالمصاهرة يتوادون ويتحابون ويجتمعون، غريبهم وقريبهم .

● وتكون الآية نظير قوله تعالى :﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾[٨٩].

● وعن علي ﷺ أن المراد بالنسب : ما لا يحل نكاحه ، والمراد بالصهر : ما يحل نكاحه .

وقيل فيهما غير ذلك .

● والأوْلى أن يُقال : إن النسب والصهر يعمان كل قربي تكون بين آدميين .

♠ **وقوله تعالى** : (**وكان ربك قديراً**) معناه : كان الله ﷻ ولا يزال عظيم القدرة ، مبالغاً فيها ، ومن جملة قدرته أنه تعالى خلق من مادة النطفة الواحدة بشراً سوياً ، ذا أعضاء مختلفة ، وطباع متباعدة ، وجعله قسمين متقابلين ، ذكوراً وإناثاً ، وربما خلق من نطفة واحدة توأمين ، ذكراً وأنثى ، وربما زاد عدد التوائم على ذلك ، وربك يخلق ما يشاء ويختار ، وكان ربك قديراً [٩٠] .

♣ **ثانياً : حقائق العلم الحديث ، ووجه الإعجاز في الآية :**

إذا كان القرآن الكريم قد أشار إلى أن الماء هو أصل كل الكائنات الحية ، فإن العلم التجريبي الحديث جاء ليؤكد في حقائقه اليقينية أن الماء هو العنصر الأساسي واللازم لأيّ حياة .

يقول الدكتور موريس بوكاي تحت عنوان (أصل الحياة) ، وتعليقاً على قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾[٩١] :

ليس هناك شك في مفهوم المصدر ، فالعبارة يمكن أن تعني أن كل شيء مصدره الماء كمادة جوهرية ، أو أن أصل كل شيء حي هو الماء ، ويتفق هذان المعنيان

تماماً مع الحقائق العلمية ، فالثابت بالتحديد أن أصل الحياة مائي ، وأن الماء هو العنصر الأساسي المُكَوِّن لكل خلية حية ، فلا حياة ممكنة بلا ماء ، وإذا ما نوقشت إمكانية الحياة على كوكب ما ، فإن أول سؤال يُطرح هو : أيحتوي هذا الكوكب على كمية كافية – من الماء – [٩٢] للحياة عليه ؟ أ.هـ[٩٣].

♠ هكذا أثبت العلم الحديث بالتجارب والتحاليل والأبحاث العلمية هذه الحقيقة ، وهي أن كل كائن حيّ يتكوّن من نسبة عالية من الماء .

♠ والإنسان ليس بدعاً بين الكائنات الحية في هذا المجال ، بل إن الثابت علمياً أن نسبة الماء في تكوين الإنسان عالية جداً ، تصل إلى ٩١% ، في جسم الجنين وهو في بطن أمه وعمره خمسة أشهر ، وتصل إلى ٨٠% في جسم الإنسان المولود حديثاً [٩٤].

♠ وإذا ما جئنا إلى قضية التناسل الإنساني ومراحل خلق الإنسان ، ابتداءً من كونه ماءً ، وانتهاءً بكونه بشراً سوياً ، فإنا نقول :

إن العلم التجريبي الحديث قد أكد ما أشار إليه القرآن الكريم في حديثه عن قضية التناسل الإنساني .

لقد وضح القرآن الكريم تلك القضية أجمل توضيح ، وبَيَّنَ تلك المراحل أعظم بيان، ابتداءً من المنيّ ، حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ [٩٥]، ويقول تعالى :﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ [٩٦]، وهو الماء الدافق الذي ذكره سبحانه في قوله تعالى : ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ . يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [٩٧].

● كما تحدث القرآن عن النطفة الأمشاج ، يعني المختلطة ، فقال سبحانه : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [٩٨].

● كما تحدث القرآن الكريم عن العلقة والمضغة والعظام واللحم ، فقال تعالى : ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [٩٩].

♠ وهذا ما أكده العلم الحديث ، الذي وضح لنا أن التناسل البشري مكفول بواسطة سلسلة من عمليات مشتركة بين الرجل والمرأة ، يترتب بعضها على بعض ، تبدأ عند التقاء الرجل بالمرأة عن طريق الجماع ، وتبدأ خطواتها مع مني الرجل ، ذلك السائل المنوي الذي يتكون ويتشكل من إفرازات مختلفة ، تأتي من جهات متعددة ، هي :

١- الخصيتان .

حيث يحتوي إفراز الغدة التناسلية للذكر على الحيوانات المنوية ، وهي خلايا مستطيلة، يتكوَّن كل حيوان منها من رأس وذيل طويل، تسبح بطريقة سريعة في سائل مَصْلِي[١٠٠] .

٢- الحويصلات المنوية .

تخزن هذه الأعضاء الحيوانات المنوية ، وتقع على مقربة من البروستاتا ، وتفرز إفرازاً خـــاصاً ، لكنه لا يحتوي على عناصر مخصبة .

٣- **البروستاتا** . وتفرز سائلاً يعطي للسائل المنوي قوامه الغليظ ورائحته الخاصة.

٤- الغدد الملحقة بالمسالك البولية .

وهي الغدد المعروفة باسم (كوبر) - Cooper - ، وغدد (ميري) - Mery - وتفرز سائلاً جارياً ، وغدد (ليتري) - littre - وتفرز المخاط .

♠ وتلك هي أصول هذه المخاليط الأمشاج ، التي تحدث عنها القرآن الكريم[١٠١].

♠ ويقول العلماء : إنه عند حدوث الجماع يتدفق المني من الرجل ،كل دفقة مني منه تحوي من ٣ إلى ٥ سنتيمتر مكعب ، وكل ١سم^{3} منها يحوي من ٦٠ إلى ٧٠ مليون حيوان مني ، في الظروف العادية ، لعملية قذف قدرها عدة سنتيمترات مكعبة .

● ثم يبدأ السباق الكبير بين هذا العدد الهائل من الحيوانات المنوية ، والذي يكون بدايته مهبل الأنثى ، ونهايته الوصول إلى البويضة العروس ، فمن بين عشرات الملايين من الحيوانات المنوية الصادرة من الرجل ، لا يصل إلى البويضة إلا عشرات الحيوانات فقط ، ثم إنه لا يصل إلى البويضة ويفوز بالولوج فيها إلا حيوان واحد فقط[١٠٢] ، هو الذي يستطيع أن يخترق جدار البويضة الشفاف من موضع معين ويتم تلقيح البويضة في الثلث الأخير من البوق .

♠ وقد اكتشف العلماء بعد الدراسات العديدة ، أن التقاء النطفة بالبويضة في الثلث الأخير لقناة الرحم – قناة فالوب – شرط أساسي لحصول التزاوج بينهما ، أي أن المكان الوحيد الذي هيأه الله تعالى وأعده بقدرته وعلمه وحكمته ، لإقامة مراسم العرس والتزاوج بين النطفة والبويضة هو مكان وحيد ومخصوص ، وهو الثلث الأخير لقناة الرحم .

■ ولا ننسى أن نذكر حقيقة علمية أخرى في سباق الحيوانات المنوية ، وهي أنها حين تدخل جوف الرحم ، لا تدخل إلا إلى البوق الذي يحوي البويضة ولا تدخل في البوق الآخر[١٠٣] .

♠ فإذا التقت البويضة بالنطفة ، وانتقت شريكها الوحيد ، الذي اختارته يد القدرة الإلهية ، من ملايين الحيوانات المنوية ، تنزل البويضة – بعد التخصيب – لتعشش في التجويف الرحمي ، وهو ما يسمى بـــ (تعشش البويضة) ، والذي أشار إليه القرآن بقوله تعالى : ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[١٠٤] .

♠ ويتحقق استقرار البويضة بالرحم بواسطة امتدادات حقيقية ، كما لو كانت بذوراً تضرب في الأرض ، فإنها تنهل من جدار العضو ما يلزم لنمو الجنين ، وهذه الامتدادات هي التي تجعل البويضة تتعلق بالرحم ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا التعلق في غير موضع من آياته ، منها قوله تعالى : ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾[١٠٥]، وقد سُمِّيت به السورة ، وكلمة العلق تشير إلى ما يعلق – يتشبث – بشيء .

ويقول تعالى : ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ (١٠٦)، ويقول تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ (١٠٧) ، ويقول تعالى : ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى. ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾ (١٠٨) .

♠ بعد مرحلة التشبث هذه في الرحم ، يتطور الجنين حتى يصير كتلة صغيرة ، تبدو للعين المجردة كقطعة لحم ممضوغة ، ثم يتطور إلى مرحلة جديدة ، فيتشكل الهيكل العظمي في تلك الكتلة ، وبعد أن تشكل العظام تغطى بالعضلات واللحم.

❁ وهكذا تتوافق حقائق العلم التجريبي الحديث مع القرآن الكريم ، في الحديث عن مراحل تطور الجنين في الرحم ، حيث أشار القرآن إلى أن الجنين بعد مرحلة التشبث يمر بمرحلة المضغة ، ثم يظهر بعد ذلك النسيج العظمي الذي يُغلف باللحم.

وصدق الله العظيم القائل : ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (١٠٩) .

♣ **وجه الإعجاز في الآية الكريمة :**

● إن إعجاز الآية الكريمة يتلخص في أن القرآن الكريم قد أخبر عن هذه الحقائق العلمية ، المتعلقة بخلق الإنسان في مراحله المختلفة ، ابتداءً من النطفة وانتهاءً بكونه بشراً سوياً .

● وليس هناك أدنى شك في أن المعاصرين لنزول القرآن الكريم لم يعرفوا شيئاً عن ذلك و لم يدركوا من تفسير القرآن في هذا الشأن ما ندركه نحن في هذه الأيام .

● إنه إلى زمن ليس ببعيد كانت ضروب كثيرة من الخرافات تحيط بالتناسل الإنساني ، خاصة وأن فهم عملياته المعقدة تطلبت من الإنسان أن يعرف علم التشريح ، وأن يكتشف المجهر ، وأن يضع العلوم الأساسية التي تنهل منها علوم وظائف الأعضاء والأجنة والتوالد ، وغير ذلك .

● لكن الأمر مختلف تماماً بالنسبة إلى القرآن ، فهو يذكر في مواضع عديدة عمليات التناسل ، يصف القرآن مراحله بالدقة والتحديد ، دون أن يكون في قراءتها أي مقولة مشوبة بالخطأ ، إنه يعبر عن ذلك في عبارات بسيطة ، يسهل على فهم الإنسان إدراكها ، وتتفق تماماً مع ما أكده العلم الحديث ، بل ومع ما سيكتشف بعد ذلك بكثير[١١٠] .

● أرأيت أخي الكريم كيف كان من المناسب أن تختم آية الفرقان التي معنا بقوله تعالى : (وكان ربك قديراً) .

... والله أعلم بأسرار كتابه ...

﴿ المطلب الخامس ﴾

﴿ الشـــمـــس والقـــــمـــر ﴾

يقول الله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ [١١١].

♣ أولاً : كـــلام المفسرين القدماء :

يتلخص كلام المفسرين القدماء في أن المعنى المراد من الآية الكريمة هو أن الله ﷻ تَمجَّدَ وتَعَظَّمَ لأنه جعل في السماء تلك الكواكب العظام ، و(تبارك) تفاعل من البَرَكَة ، والبَرَكَة : كثرة الخير وزيادته ونمائه [١١٢]، وفيه معنيان :

أحدهما : تزايد خيره وتكاثر ، وهو المراد من قوله تعالى : ﴿ **وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ** ﴾ [١١٣]، **الثاني** : تزايد عن كل شيء وتعالى عنه ، في ذاته وصفاته وأفعاله ، وهو المراد من قوله تعالى : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ** ﴾ [١١٤] .

وقال قوم : أصل الكلمة – تبارك – تدل على البقاء ، مأخوذ من بروك البعير ، ومن بروك الطائر على الماء ، وسميت البِرْكة بذلك لثبوت الماء فيها [١١٥] .

والمعنى عليه : أنه سبحانه وتعالى باقٍ في ذاته أزلاً وأبداً ، ممتنع التغير ، وباقٍ في صفاته ممتنع التبدل[١١٦] .

● والظاهر أن المراد بالسماء : السماء الدنيا ، لأنها المعروفة ، ولأن البروج فيها ، فهو كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾ [١١٧].

♥ والبروج : جمع برج ، وأصل معنى البرج : الأمر الظاهر ، مأخوذ من التبرج ، وهو الظهور[١١٨]، ثم صار حقيقة عرفية للقصر العالي ، لأنه ظاهر للناظرين ، ويقال لما ارتفع من سور المدينة برج أيضاً ، وقد اختلف المفسرون في المراد بالبروج إلى أقوال عدة :

أحـــدها : البروج هي المنازل التي تنتقل فيها الأجرام أثناء دورانها[١١٩] ، وهي مجالاتها التي لا تتعداها في جريانها في السماء ، وهي اثنا عشر برجاً ، وهي منازل الشمس والقمر والكواكب المعروفة ، التي تقطعها الشمس في سنة ، ويقطعها القمر في ثمانية وعشرين يوماً ، تسير الشمس في كل برج منها شهراً ، ويسير القمر في كل برج منها يومين وثلث يوم فذلك ثمانية وعشرون يوماً ، ثم يستتر ليلتين ، وسميت البروج بالمنازل على طريق التشبيه ، لأنها للكواكب السيارة كالمنازل الرفيعة لسكانها .

الثاني : البروج هي النجوم العظام[١٢٠] ، سميت بروجاً لظهورها وارتفاعها .

الثالث : البروج هي القصور العالية المرتفعة[١٢١] ، وهي هكذا في كلام العرب ، وعليه ورد قوله تعالى : ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [١٢٢].

الرابع : البروج هي الخَلْق الحَسَن[١٢٣]، وكأنها إشارة إلى إبداع خلق السماوات وما فيها ، فيكون كقوله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ [١٢٤] ، وقيل في معنى البروج غير ذلك[١٢٥] .

♠ **والظاهر أن المراد بالبروج** : منازل الكواكب السيارة ، ومداراتها الفلكية الهائلة ، وإن كان لا مانع من تفسير البروج بكل ما ذُكِرَ ، فكلها أقوال صحيحة ، يحتملها اللفظ القرآني .

● فقد أحسن الله تبارك وتعالى خلق السماوات وما فيها ، وزينها بالنجوم والكواكب التي شُبِّهَت في علوها وارتفاعها بالقصور العالية ، وجعل الله تعالى في السماء لتلك النجوم منازل تسكنها وتجري فيها لا تتعداها ، يقول سبحانه : ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ . وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ . وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾ (١٢٦).

♠ **وقوله تعالى** : (**وجعل فيها سراجاً**) أي : وجعل في السماء ، وقيل جعل في البروج ، وفي قوله تعالى (سراجاً) قراءتان متواترتان ، لكل منها وجه مفهوم ، فقراءة الجمهور (سِرَاجَاً) بكسر السين وفتح الراء وألف بعدها ، على التوحيد .

● وقرأ حمزة والكسائي (سُرُجَاً) بضم السين والراء بلا ألف ، على الجمع(١٢٧).

● أما قراءة الجمهور – بالإفراد – فوجِّهت على أن المراد بالسراج : الشمس ، وهو مروي عن عبد الله بن عباس ﷺ ، ويكون المعنى : وجعل فيها السراج يعني الشمس ، ويؤيده قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا﴾ (١٢٨) ، كما يؤيده أيضاً في نفس الآية هنا قوله تعالى : ﴿وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا﴾ على الإفراد ، وسميت الشمس (سراجاً) لما تبعث به من الضوء والحرارة .

♦ ووجهت قراءة الجمع – سُرُجَاً – بتوجيهين :

الأول : أن الجمع على ظاهره ، وأنه أراد كل ما أسرج وأضاء ، فيكون المراد بالسُرُج : الشمس والكواكب والنجوم العظام الوقادة ، لأنها تظهر وتضيء ، ويُهتدى بها في الظلمات ، حتى القمر يدخل في السُرُج ، ويكون تخصيصه بالذكر بعد ذلك تشريفاً .

الثاني : أن الجمع ليس على ظاهره ، بل إنه أراد بالسُرُج أيضاً الشمس وحدها ، ويكون الجمع لعظمتها وكمال إضاءتها ، فكأنها لذلك سُرُج كثيرة متعددة ، وقيل إن الجمع باعتبار الأيام والمطالع .

وعلى هذا التوجيه الثاني تتحد قراءة الجمع مع قراءة الإفراد .

♠ **وقوله تعالى (وقمراً منيراً)** أي وجعل فيها قمراً مضيئاً بالليل ، ينير الأرض إذا طلع ، وسُمِّيَ القمر بذلك لأنه يقمر ضوء الكواكب ، وقيل : سُمِّيَ قمراً لبياضه [١٢٩].

● ولم يجعل القمر سراجاً كالشمس ، لأنه لا توقد له ، وإنما يأتي بنوره الهادي اللطيف والمعنى : وجعل فيها الشمس المتوقدة بالنهار والقمر المضيء بالليل .

■ وعلى الفرق المشهور بين الضوء والنور يكون في وصف القمر بـــ (منيراً) دون(مضيئاً) إشارة إلى أن ما يُشاهد فيه من نور مستفاد من غيره ، وهو الشمس ، بل قال غير واحد : إن نور جميع الكواكب مستفاد من الشمس أيضاً ، والله أعلم[١٣٠].

♣ **ثانياً : حقائق العلم الحديث ، ووجه الإعجاز في الآية :**

لقد تحدث القرآن الكريم كثيراً عن الشمس والقمر والنجوم ، مشيراً إلى يد القدرة الإلهية التي تُسَيِّر تلك الأجرام في نسق بديع ، ودقة متناهية ، لا خلل فيها ولا اضطراب .

وفيما يتعلق بالشمس والقمر نجد القرآن الكريم في حديثه عنهما قد حدد الفرق بينهما عبر مقارنات في بعض الآيات ، ومن ذلك الآية التي بين أيدينا ، ومنها قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا. وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ [١٣١].

● وغالباً ما يُوصف القمر في القـــرآن بالنور ، وتوصف الشـــمس بالضياء أو بالسراج .

♠ وبالتأكيد كان الإنسان في عصر نزول القرآن يستطيع التفريق بين السراج الوهاج – وهو الشمس – ذلك الجرم السماوي الملهب ، الذي يعرفه جيداً سكان الصحراء ، وبين القمر الذي هو جرم طراوة الليالي .

● وفرق في المعنى بين الضياء والنور ، لأن الضوء خلاف النور ، فالضوء فيه حرارة ، أما النور فلا حرارة فيه ، والضوء ذاتي ، أما النور فليس ذاتياً ، إنما هو مكتسب من غيره ، متولد من وقوع الضوء على الأجسام ، فالضياء هو الذي ينبثق مباشرة من جسم مشتعل مضيء بذاته ، وحين يسقط هذا الضياء على جسم معتم ينعكس نوراً.

● وهذا ما أكده العلم التجريبي في العصر الحديث ، فحقائق العلم تؤكد أن القمر ليس مضيئاً بذاته ، بل هو كوكب خامل ، وجسم معتم يعكس الضوء الذي يستقبله من الشمس ، فضوء الشمس ذاتي ، أما ضوء القمر فيستمد نوره من الشمس .

● ولذلك وصف القرآن القمر بأنه منير ، ولم يصفه بأنه مضيء ، هذا التفريق الدقيق بين الضياء والنور قبل ما يزيد على ألف وأربعمائة سنة ، مما يشهد للقرآن الكريم بالمعجزة العلمية [١٣٢].

● وإذا كان القرآن الكريم في حديثه عن الشمس والقمر توقف عند الإشارات العلمية ، فقد جاء العلم التجريبي الحديث بتفسير تلك الإشارات ، وأكتفي هنا بما ذكره الدكتور موريس بوكاي في كتابه القيم (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم) ، ففيما ذكره غنية ، حيث قال :

وجود مدارين للقمر والشمس :

ما يفسر هنا بمدار هو (فلك) في نص القرآن ، وهي كلمة عربية قديمة ، ولقد حيَّرت الكلمة قدامى مفسري القرآن ، إذ لم يكن بمقدورهم أن يتخيلوا الرحلة الدائرية للشمس والقمر في الفضاء .

وعليه فقد تمثلوا – عند مسيرتي هذين الجرمين – صوراً مغلوطة تماماً ، أو على درجات مختلفة من الصحة .

ذلك يوضح لنا إلى أيّ حد كان الناس عاجزين عن تمثل فكرة المدار الشمسي والمدار القمري ، ويتضح من هذا أنه إذا كانت كلمة (فلك) تعني مفهوماً سائداً في عصر محمد ﷺ ، لما لقي تفسير هذه الآيات مثل هذه المصاعب ، وعليه فقد قدَّم القرآن في ذلك العصر مفهوماً جديداً ، لم يتضح إلا بعد قرون عدة .

الإشارة إلى تنقل القمر والشمس في الفضاء بحركة خاصة :

يؤدي القمر دورته حول نفسه في نفس الوقت الذي يتم فيه دورته حول الأرض ، أي فيما يقارب ٢٩ يوماً ونصف يوم ، بحيث إن وجهه هو دائماً نفس الوجه أمام ناظرينا ، وتدور الشمس حول نفسها في ٢٥ يوماً تقريباً ، حول وتدور المجرة[١٣٣] حول نفسها – والشمس معها – ويلزمها ما يقرب من ٢٥٠ مليون سنة ، وتسير الشمس في هذه الحركة بسرعة تقريبية قدرها ٢٥٠ كيلومتر في الثانية الواحدة .

تلك هي الحركة المدارية للشمس والقمر ، التي صرح بها القرآن منذ أربعة عشر قرناً تقريباً ، إن وجود هذه الحركة وعلامتها هي الآن من مكتشفات علم الفلك الحديث[١٣٤].

♣ وجه الإعجاز في الآية الكريمة :

إن الإعجاز العلمي في هذه الآية من الوضوح بمكان ، حيث إن القرآن الكريم قد أخبر بهذه الحقائق العلمية عن الشمس والقمر ، تلك الحقائق التي لم يكن للبشر في عصر نزول القرآن معرفة بها ، و لم يكتشفها الإنسان إلا في هذا العصر الحديث .

... والله أعلم بأسرار كتابه ...

﴿ المطلب السادس ﴾

﴿ تعاقـــب الليـــل والنهـــار ﴾

يقول الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا ﴾[١٣٥].

♣ **أولاً : كلام المفسرين القدماء :**

يتلخص كلام المفسرين القدماء في أن المعنى المراد من الآية الكريمة هو أن الله ﷻ يلفت الأنظار إلى بعض الآلاء في خلقه ، ومن جملة تلك النعم التي تستوجب التذكر والشكر أنه سبحانه وتعالى برحمته وحكمته جعل الليل والنهار خِلْفَة .

● **وفي معنى الخِلْفَة قولان :**

الأول : الخِلْفَة من خَلَفَ ، وهي كل شيء بعد شيء[١٣٦]، فهي عبارة عن كون الشيئين بحيث يخلف أحدهما الآخر ويأتي بعده ، ومنه يقال للمبطون : أصابته خِلْفَة ، أي قيام وقعود ، يخلف هذا ذاك وذاك هذا ، فالخِلْفَة إذاً اسم للحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر ، مِن خَلَفَ ، كالرِكْبة من ركب ، والجِلْسة من جلس .

والمعنى : جعل الله تعالى كل واحد من الليل والنهار يخلف صاحبه ، إذا ذهب هذا جاء ذاك ، وإذا ذهب ذاك جاء هذا ، فالليل خلفة للنهار والنهار خلفة لليل ، يخلف أحدهما الآخر ويأتي بعده .

♦ وقريب من هذا قول بعضهم إن الخِلْفَة بمعنى العُقْبَة ، فالليل والنهار يختلفان بمعنى يتعاقبان ، يعقب هذا ذاك ، ويعقب ذاك هذا ، ونظيره قوله تعالى : ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾[١٣٧]، أي تعاقبهما .

الثاني : الخِلْفَة من الخلاف ، أو من الاختلاف ، يقال لكل شيئين اختلفا : هما خِلْفَان ، فقوله تعالى (خِلْفَة) أي مختلفين[١٣٨]، والاختلاف واضح بين الليل والنهار ، فهما مختلفان في الضياء والظلام ، مختلفان في الزيادة والنقصان ، فهذا

أبيض وهذا أسود ، وهذا طويل وهذا قصير ، بل هما مختلفان فيما يعم ذلك وغيره .

ومعنى الآية : جعل الله تبارك وتعالى كل واحد من الليل والنهار مخالفاً صاحبه .

● وقيل إن الكلام على حذف المضاف ، والتقدير : ذوي خِلْفَة .

♠ والمعنى الأول أقرب وأظهر وأقوى ، والله أعلم .

♦ **وقوله تعالى (لمن أراد أن يذكر)** معناه : أن يتذكر آلاء الله تعالى ، ويتفكر في بدائع صنعه ، فيعلم أنه لا بُدَّ لهذا الكون من صانع حكيم ماهر ، واجب الذات ، رحيم بالعباد ، فإن الناظر في اختلاف الليل والنهار ، المتدبر في انتقالهما وتغيرهما من حال إلى حال ، يدرك لا محالة أنه لا بُدَّ لهما من ناقل مغيِّر ، ويعلم يقيناً أن الله تعالى – وهو الحكيم الخبير – لم يخلق ذلك عبثاً ، فيستدل بذلك على عظيم قدرته سبحانه ويعتبر في خلقه ومصنوعاته عز وجل .

وقراءة الجمهور (أن يَذَّكَرَ) بتشديد الذال والكاف وفتحهما ، وقرأ حمزة وخلف (أن يَذْكُرَ) بتخفيف الذال وإسكانها ، وتخفيف الكاف وضمها ، وهما قراءتان سبعيتان متواترتان[١٣٩] .

والمعنى على القراءة الأولى من التذكر ، بمعنى الاتعاظ والاعتبار ، وعلى القراءة الثانية من الذكر بعد النسيان ، فكأنَّ المراد بالثانية الذكر لله ، والأولى التذكر له.

♦ **وقوله تعالى (أو أراد شكوراً)** معناه : أراد أن يشكر الله تعالى ، على ما أودعه في الليل والنهار من النعم العظيمة ، والألطاف الكثيرة ، أو أن يشكر الله تعالى فيهما على كافة إفضاله وإنعامه .

● وقيل إن معنى قوله تعالى (لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً) أي ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين، مَن فاته ورده من الخير والعبادة في أحدهما تداركه في الآخر ، وكأنَّ التذكر مجاز عن أداء ما فات .

♠ وعن عمر بن الخطاب وابن عباس والحسن ﷺ معناه : مَن فاته شيء من الخير بالليل أدركه بالنهار ، ومَن فاته شيء من الخير بالنهار أدركه بالليل ، وعن الحسن: مَن فاته عمله من التذكر والشكر بالنهار كان له في الليل مستعتب ، ومن فاته بالليل كان له في النهار مستعتب[١٤٠].

♣ **ثانياً : حقائق العلم الحديث ، ووجه الإعجاز في الآية :**

الليل والنهار حادثان مسيران بتدبير وتقدير ، وقد رأينا من كلام المفسرين القدماء أن المقصود بتعاقب الليل والنهار هو تتابعهما ، وأن أحدهما يخلف صاحبه ، على ما نطقت به الآية الكريمة (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة) .

❁ وهذا ما أثبته العلم التجريبي الحديث ، فبعد التفوق العلمي ، وصعود الإنسان إلى طبقات الجو العليا ، ووصوله إلى ما فوق الغلاف الجوي للأرض ، رأى العلماء الكرة الأرضية قبة زرقاء ، وشاهدوا الليل والنهار وكأنَّ بينهما خطاً فاصلاً ، فكان للتقدم العلمي أعظم الأثر في فهم الإشارات العلمية في القرآن الكريم .

● وإذا كان تعاقب الليل والنهار حقيقة علمية ، فإن هذا التعاقب مرتبط بحقيقة علمية أخرى ، يستند إليها ويرتبط بها ، ألا وهي حركة دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس[١٤١]، وهذا ما أكده أيضاً العلم الحديث .

● فدوران الأرض محورياً هو السبب الأساس في مجيء الليل والنهار وتعاقبهما ، طبقاً للحقائق العلمية الحديثة .

فالأرض تتم دورة واحدة حول محورها في أربع وعشرين ساعة ، والذي يحدث في الفضاء كما يقول الدكتور موريس بوكاي أن الشمس تضيء بشكل دائم – فيما عدا فترات الخسوف – نصف الكرة الأرضية التي تقع أمامها ، على حين يظل النصف الآخر مظلماً ، وقد رأى رواد الفضاء الأمريكيون هذا وصوروه من مركباتهم الفضائية ، وخاصة على بُعْد بعيد عن الأرض ، من على القمر مثلاً .

● وبدوران الأرض حول نفسها – على حين تظل الإضاءة ثابتة – فإن المنطقة المضاءة منها – وهي على شكل نصف كروي – تؤدي في أربع وعشرين ساعة دورتها حول الأرض ، على حين يتم النصف الآخر المظلم في نفس الوقت نصف الرحلة .

■ والقرآن يصف بشكل كامل هذه الدورة التي لا تكف أبداً للنهار والليل ، وهي اليوم يسيرة على الإدراك الإنساني ، فنحن نملك اليوم خبرة فكرية عن ثبوت الشمس[١٤٢] وعن دورة الأرض .

هذه العملية الدائمة في التكور مع الولوج المستمر لقطاع في آخر ، يعبر القرآن عنها ، وكأنَّ اكتشاف استدارة الأرض كان قد تم في عصر تنزل القرآن ، وبالطبع لم يكن هذا قد حدث بعد ، أ.هـ [١٤٣].

● فدوران الأرض في محورها أمام الشمس من الغرب إلى الشرق[١٤٤] هو الذي يظهر تعاقب الليل والنهار ، ولو لم تدر الأرض ما كان هناك ليل ولا نهار .

♥ **والخلاصة** أن النهار هو ذلك الوقت الذي تتجلى فيه الشمس على نصف الكرة الأرضية فتضيئه بنورها ، والليل هو ذلك الوقت المظلم الذي يغشي جانباً من الكرة الأرضية ، عندما تكون الشمس منيرة لجانب الكرة الأرضية المقابل ، فنصف الكرة الأرضية المواجه للشمس يكون فيه نور النهار ، ونصفها الآخر يكون فيه ظلام الليل[١٤٥]، والله أعلم .

♣ **وجـــه الإعجاز في الآية الكريمة :**

يتجلى من الآية الكريمة وجه آخر من أوجه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، حيث تناولت الآية الكريمة تعاقب الليل والنهار ، وتداخلهما المستمر .

ولقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الظاهرة في غير موضع من آياته ، وكثيراً ما نقرأ في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ﴾ [١٤٦]، وقوله تعالى : ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ [١٤٧]، وقوله تعالى:

﴿يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [١٤٨]، وقوله تعالى : ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [١٤٩].

❁ هكذا يتحدث القرآن الكريم عن ظاهرة تعاقب الليل والنهار ، الناتجة عن ظاهرة دوران الأرض ، وكأنَّ اكتشاف دوران الأرض كان في عصر التنزيل ، وبالطبع لم يكن هذا قد حدث بعد ...

... والله أعلم بأسرار كتابه ....

﴿ الخـــــــــــاتمـــــة ﴾

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومَن عمل بسنته واهتدى بهداه ، وبعد :

فقد كان هذا البحث **محاولة متواضعة للتعرف على بعض جوانب الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، من خلال الوقوف على بعض الإشارات العلمية الواردة في سورة الفرقان ، ومحاولة ربطها بحقائق العلم التجريبي الحديث ، والاستعانة بتلك الحقائق والاكتشافات العلمية المعاصرة في فهم مكنون هذه الآيات .**

وذلك لإيماني الكامل بأن الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في هذا العصر يُعتبر وسيلة هامة من وسائل الدعوة الإسلامية ، لأننا – كما يقولون – في عصر العلم ، فالعصر فعلاً عصر الابتكارات والاكتشافات العلمية ، وعصر الانبهار بالعلوم التجريبية والتطبيقية ، وكم من شخصٍ هداه الله للإسلام بسبب وقوفه على تجارب علمية حديثة أثبتها القرآن الكريم .

● ومما تجدر إليه الإشارة هنا ، ويجب التنبيه عليه ، هو أنه ليس في القرآن الكريم ما يخالف الحقائق العلمية بأيّ حال من الأحوال ، وما يبدو من ذلك لبعض العقول هو ناتج عن خطأ ما في فهم نصوص القرآن ، أو عن خطأ ما في فهم المعرفة العلمية ، التي قد تنسب إلى الحقائق العلمية ما ليس منها .

والله من وراء القصد

﴿ فهرس أهم المصادر والمراجع ﴾

١- القرآن الكريم ، كلام رب العالمين ، برواية حفص عن عاصم .

٢- الإتقان في علون القرآن ، للسيوطي.

٣- الإعجاز العلمي في الإسلام ، لمحمد كامل عبد الصمد .

٤- الإعجاز العلمي في القرآن د/ زغلول النجار .

٥- الإعجاز العلمي في القرآن ، لمحمد سامي محمد علي .

٦- تفسير البيضاوي .

٧- البحر المحيط ، لأبي حيَّان .

٨- البرهان في علوم القرآن ، للزركشي .

٩- تفسير القرآن العظيم ، للحافظ ابن كثير .

١٠- التفسير العلمي للقرآن في الميزان ، لأحمد عمر أبو حجر .

١١- التفسير الكبير ، أو مفاتيح الغيب ، للإمام الرازي .

١٢- تفسير الطبري .

١٣- تفسير القرطبي .

١٤- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ، للشهاب الخفاجي .

١٥- تفسير الألوسي .

١٦- زاد الدعاة من العلم والآيات ، لمحمود البرشة .

١٧- الصحاح ، للجوهري .

١٨- فتح القدير ، للشوكاني .

١٩- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، د/ موريس بوكاي .

٢٠- قضية الإعجاز العلمي للقرآن ، د/ زغلول النجار .

٢١- تفسير الكشاف ، للزمخشري .

٢٢- معجم التعريفات ، للشريف الجُرْجَانِيّ .

٢٣- مناهل العرفان في علوم القرآن ، للزرقاني.

٢٤- نماذج من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، إعداد نخبة من أساتذة الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، مكتب القاهرة ، د/ زغلول النجار وآخرين .

إلى غير ذلك من المراجع والمصادر المذكورة في ثنايا البحث

الهوامش الإحالات :

[١]- من الآية ٣١ من سورة المائدة .

[٢]- مفردات غريب القرآن /٣٢٢ ، بصائر ذوي التمييز ٢٢/٤ مادة عجز .

[٣]- آخر الآية ٧ من سورة الحاقة ، وينظر : المرجعان السابقان ، والصحاح ٧٠٤/١ ، والقاموس القويم للقرآن الكريم ٢ /٧ ، ٨ .

[٤]- الصحاح ٧٠٤/١ ، مفردات غريب القرآن /٣٢٣ مادة عجز .

[٥]- معجم التعريفات للجرجاني /١٨٤ ، دليل الفالحين ٣١٥/٤ ، مناهل العرفان ٧٣/١ ، الإتقان في علوم القرآن ٣/٤ بتصرف .

[٦]- مناهل العرفان ٣٣١/٢ .

[٧]- الآيتان ٣٣ ، ٣٤ من سورة الطور .

[٨]- الآية ١٣ من سورة هود .

[٩]- الآية ٣٨ من سورة يونس .

[١٠]- الآية ٢٣ من سورة البقرة .

[١١]- الآية ٨٨ من سورة الإسراء ، وينظر : الإتقان ٤/٤ ، البرهان ٩١/٢ .

[١٢]- وللوقوف على هذه الوجوه وغيرها ، راجع : مناهل العرفان ٣٣٢/٢ ،الإتقان للسيوطي ١٤/٤ البرهان للزركشي ٩٥/٢ .

[١٣]- الآية ١٠٩ من سورة الكهف .

[١٤]- أول الآية ٢٧ من سورة لقمان .

[15]- أول الآية ٥٣ من سورة فصلت .

[16]- أول الآية ٩٣ من سورة النمل .

[17]- أول الآية ٢٠ من سورة العنكبوت .

[18]- الآية ٦٧ من سورة الأنعام .

[19]- الآية ٨٨ – والأخيرة – من سورة ص .

[20]- قضية الإعجاز العلمي للقرآن وضوابط التعامل معها ، صـــفحة ٨٦ .

[21]- نماذج من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، صـــفحة ٢٣ .

[22]- المرجع السابق .

[23]- السماء في القرآن ، صفحـــة ٧٢ .

[24]- نماذج من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة /٢٥ بتصرف .

[25]- الآيات ٦٨ :٧٠ من السورة .

[26]- الآية ٣ من السورة .

[27]- الكشاف ٢٥٥/٣ ، تفسير القرطبي ٣/١٣ ، البحر المحيط ٧٩/٨ ، روح المعاني ٣٣/١٨ فتح القدير ٥٩/٤ ، الإتقان ٣٢/١ .

[28]- الإتقان ١٩٠/١ ، الكشاف ٢٥٥/٣ ، حاشية الشهاب ٩٩/٧ ، روح المعاني ٣٣٧/١٨ .

[29]- الآية ١ من سورة الفرقان .

[30]- البحر المحيط ٧٩/٨ ، روح المعاني ٣٣٧/١٨ بتصرف .

[31]- الآيتان ٤٥ ، ٤٦ من السورة .

[32]- وأصل الفيء : الرجوع ، وسُمِّي الفيء فيئاً لأنه يرجع بعد زوال الشمس .

[33]- ينظر : جامع البيان ١٨/١٩ وما بعدها ، مفاتيح الغيب ٧٦/٢٤ وما بعدها ، الكشاف ٢٧٥/٣ ، تفسير القرطبي ٢٦/١٤ وما بعدها ، البحر المحيط ١١١/٨ وما بعدها ، حاشية الشهاب ١٣٨/٧ وما بعدها ، روح المعاني ٣٨/١٩ وما بعدها ، فتح القدير ٧٩/٤ وما بعدها .

[34]- أول الآية ٨١ من سورة النحل .

[35]- الآية ٤٨ من سورة النحل .

[36]- الآيتان ٤٥ ، ٤٦ من سورة الفرقان .

[37]- لعله يريد بالاسترداد معنى الترديد والتكرير والترجيع ، من رَدَّدَ الشيءَ : كَرَّرَهُ ، وارتدَّ بمعنى رجع واسترد الشيء : استرجعه . المعجم الوجيز /٢٦٠ ، ٢٦١ مادة رَدَّ .

[٣٨]- المِزْوَلَةُ : الساعة الشمسيَّة التي يُعَيَّنُ بها الوقتُ بظلِّ الشاخص الذي يُثَبَّت عليها ، والجمع : مَزاولُ . المعجم الوجيز /٢٩٦ مادة زال .

[٣٩]- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم . دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، د/ موريس بوكاي ، صفحة ٢١٠ .

[٤٠]- وهذا يعني أن أدوات حساب الوقت لدى الإنسان تتأخر ٤ دقائق في كل يوم ، ولمعالجة ذلك تم إضافة يوم جديد إلى التقويم مره كل ٤ سنوات لتعويض النقص ، وتُسَمَّى السنة التي أضيف إليها هذا اليوم بالسنة الكبيسة .

[٤١]- الآية ٢٥ من سورة المرسلات .

[٤٢]- فتح القدير ٣٥٨/٥ وغيره من كتب التفسير .

[٤٣]- الصحاح ٢٥٢/١ مادة كفت .

[٤٤]- الآية ٢٦ من سورة المرسلات .

[٤٥]- الآية ١٥ من سورة الملك .

[٤٦]- الآية ٨٨ من سورة النمل .

[٤٧]- راجع : معجزة القرآن للشيخ الشعراوي صفحة ٦١ وما بعدها ، وفي ظلال القرآن لسيد قطب ٢٥٦٩/٥ ، ٣٦٣٧/٦ .

[٤٨]- الآية ٤٨ من سورة الفرقان .

[٤٩]- ففي الآية ٧٥ من سورة الأعراف يقول الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ.... ﴾، وفي الآية ٦٣ من سورة النمل يقول الله تعالى : ﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ﴾ .

[٥٠]- أول الآية ٤٦ من سورة الروم .

[٥١]- الآية ٣ من سورة المرسلات .

[٥٢]- وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وغيرهم .

[٥٣]- ينظر : الحجة /٨٥ ، ٨٦ ، الإقناع /٤٠٢ ، غيث النفع /١١٤ ، النشر ٢٠٢/٢ ، ٢٠٣ ، البدور الزاهرة /١١٦ ، الإتحاف /٢٨٤ .

[٥٤]- ينظر : المحتسب ٣٦٧/١ ، مختصر شواذ القرآن /٤٩ .

[٥٥]- فالمقصود من الرحمة : الغيث والماء .

[٥٦]- مفاتيح الغيب ١١٥/١٤، ذكره عند تفسيره الآية ٥٧ من سورة الأعراف.

[٥٧]- ينظر : روح المعاني ٤٤/١٩ ، جامع البيان ٢١/١٩ ، تفسير القرطبي ٢٨/١ ، البحر المحيط ١١٥/٨ ، الكشاف ٢٧٦/٣ ، أنوار التنزيل ١١٧/١ ، حاشية الشهاب ١٤١/٧.

[٥٨]- هذه المساحيق تشبه مساحيق ملح الطعام .

[٥٩]- الآية ٢٢ من سورة الحجر ، وينظر : الإعجاز العلمي في الإسلام ، لمحمد كامل عبد الصمد /١٠٩ : ١١٠ ، التفسير العلمي للقرآن في الميزان ، لأحمد عمر أبو حجر/٢٦٠ : ٢٦١.

[٦٠]- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، صفحة ٢٠٠ .

[٦١]- الآيتان ٦٨ ، ٦٩ من سورة الواقعة ، وينظر : الإعجاز العلمي في الإسلام ، لمحمد كامل عبد الصمد ، صفحة ١٠٩ بتصرف .

[٦٢]- الآية ٢٢ من سورة الحجر .

[٦٣]- الآية ٥٧ من سورة الأعراف ، ومعنى أقلت : أي : حملت سحباً ثقيلة .

[٦٤]- الآية ٤٨ من سورة الروم ، ومعنى (تثير) أي : تحرك ، ومعنى (كسفاً) أي : قطعاً بعضها فوق بعض ، والودق : المطر .

[٦٥]- الآية ٩ من سورة فاطر .

[٦٦]- التفسير العلمي للقرآن في الميزان ، صفحة ٢٦٠ بتصرف .

[٦٧]- الآية ٥٣ من سورة الفرقان .

[٦٨]- آخر الآية ٥ من سور ق .

[٦٩]- المفردات للراغب /٤٦٥ مادة مرج ، بتصرف .

[٧٠]- تفسير القرطبي١٣/٤٠ ، البحر المحيط ١١٧/٨ ، روح المعاني ٤٩/١٩ ، فتح القدير ٨٢/٤ .

[٧١]- في المفردات/١٩٩ مادة رفت : رفت الشيء أرفته رفتاً : فتته ، والرفات والفتات : ما تكسر وتفرق من التبن ونحوه ، قال تعالى : (وقالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتاً ....) الإسراء /٤٩ .

[٧٢]- أول الآية ٢ من سورة الرعد .

[٧٣]- جامع البيان ٢٥/١٩ بتصرف .

[٧٤]- ذكره الألوسي في روح المعاني ٥٢/١٩ . **وهذا ما أكده العلم أيضاً** .

[٧٥]- قال الإمام الرازي : وهذه الكلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو أو هجوم نازلة ، ونحو ذلك ، يضعونها موضع الاستعاذة ، وهي من حجره إذا منعه ، لأن المستعيذ طالب من الله أن يمنع المكروه فلا يلحقه ، فكان المعنى : أسأل الله أن يمنع ذلك منعاً ويحجره حجراً ، أ.هـ .

مفاتيح الغيب ٨٧/٢٤ ، ذكره عن تفسير قوله تعالى : (يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً) الفرقان /٢٢ .

[٧٦]- الآيتان ١٩ ، ٢٠ من سورة الرحمن .

[٧٧]- الكشـــاف ٢٧٩/٣ ، مفاتيح الغيب ٨٧/٢٤ ، وقال الشـــهاب في حاشيته ١٤٦/٧ : وتقرير الاستعارة أنه شبه البحران بطائفتين متعاديتين ، يريد كل منهما البغي على الآخر ، لكنهما امتنعا من ذلك لمانع قوي مجبر ، فهي مصرحة تمثيلية ، بولغ فيها هنا ، حيث جعل المعنى المستعار كاللفظ المقول ، لأن كل منهما يتعوذ من صاحبه ، أ.هـــ .

[٧٨]- ينظر : جامع البيان ٢٣/١٩ : ٢٥ ، الكشاف ٢٧٩/٣ ، أنوار التنزيل ١١٨/٢ ، مفاتيح الغيب ٨٧/٢٤ ، تفسير القرطبي ٤٠/١٣ ، البحر المحيط ١١٧/٨ ، ١١٨ ، فتح القدير ٨١/٤ ، حاشية الشهاب ١٤٦/٧ ، روح المعاني ٤٩/١٩ : ٥١ .

[٧٩]- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم د/ زغلول النجار ، صفحة٢١ ، ٢٢ .

[٨٠]- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، محمد سامي محمد علي ، صفحة ١١٠ بتصرف .

[٨١]- وهذا ما أشار إليه الألوسي نقلاً عن البعض ، في تفسيره ٥٢/١٩ .

[٨٢]- زاد الدعاة من العلم والآيات ، لمحمود البرشة ، صفحة ١٩٩ ، ٢٠٠ بتصرف .

[٨٣]- الآية ٥٤ من سورة الفرقان .

[٨٤]- أول الآية ٤٥ من سورة النور .

[٨٥]- من الآية ٣٠ من سورة الأنبياء .

[٨٦]- قال في الصحاح ٧٤٣/١ مادة سلس : شيءٌ سَلِسٌ أي سَهْلٌ ، ورجُلٌ سَلِسٌ أي لَيِّنٌ مُنْقَادٌ بَيِّن السَلَسِ والسَّلَاسة ، وفلان سَلِسُ البول إذا كان لا يستمسكه ، أ.هـــ .

[٨٧]- الآيتان ٥ ، ٦ من سورة الطارق .

[٨٨]- الآيتان ٧ ، ٨ من سورة السجدة .

[٨٩]- الآية ٣٩ من سورة القيامة .

[٩٠]- ينظر : جامع البيان ٢٦/١٩ ، الكشاف ٢٧٩/٣ ، أنوار التنزيل ١١٨/٢ ، تفسير القـــرطبي ٤٠/١٣ ، البحر المحيط ١١٩/٨ ، مفاتيح الغيب ٨٨/٢٤ ، حاشية الشـــهاب ١٤٧/٧ ، فـــتح القدير ٨٢/٤ ، روح المعاني ٥٢/١٩ : ٥٣ .

[٩١]- من الآية ٣٠ من سورة الأنبياء .

[٩٢]- الجملة المعترضة (من الماء) من صنع الباحث ، لحاجة السياق إليها .

[٩٣]- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم صفحة ٢١٢ .

[٩٤]- زاد الدعاة من العلم والآيات ، لمحمود البرشة ، صفحة ١٦٦ بتصرف .

[٩٥]- الآية ٣٧ من سورة القيامة .

[٩٦]- الآية ٥٨ من سورة الواقعة .

[٩٧]- الآيات ٥ : ٧ من سورة الطارق .

[٩٨]- الآية ٢ من سور الإنسان .

[٩٩]- الآية ١٤ من سورة المؤمنون .

[١٠٠]- مَصْلُ الدم : سائل رقيق أصفر ينفصل من الدم عند تخثره .
المعجم الوجيز /٥٨٤ مادة مصل .

[١٠١]- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، صفحة ٢٢٩ بتصرف .

[١٠٢]- إن الملايين من النطف التي تسبح بسرعة باتجاه البويضة الموجودة ، ستعود كلها خائبة خاسرة ، لأن أول حيوان منوي يصل إلى البويضة سيفوز بسبق التلقيح .

[١٠٣]- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، صفحة ٢٢٩ ، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، لمحمد سامي محمد علي ، صفحة ١٠٤.

[١٠٤]- من الآية ٥ من سورة الحج .

[١٠٥]- الآية ٢ من سورة العلق .

[١٠٦]- أول الآية ١٤ من سورة المؤمنون .

[١٠٧]- أول الآية ٦٧ من سورة غافر .

[١٠٨]- الآيتان ٣٧ ، ٣٨ من سورة القيامة .

[١٠٩]- الآية ١٤ من سورة المؤمنون .
وينظر : القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، صفحة ٢٣٠ : ٢٣٢ .

[١١٠]- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، صفحة ٢٢٥ .

[١١١]- الآية ٦١ من سورة الفرقان .

[١١٢]- قال في الصحاح ١١٩١/٢ مادة برك : والبَرَكَةُ : النماءُ والزيادةُ .

[١١٣]- من الآية ٣٤ من سورة إبراهيم .

[١١٤]- من الآية ١١ من سورة الشورى .

[١١٥]- قال في الصحاح في الموضع السابق : بَرَكَ البعيرُ يَبْرُكُ بُرُوكاً أي اسْتَنَاخَ ... وكلُّ شيء ثبتَ وأقام فقد بَرَكَ ... والبِرْكَةُ أيضاً كالحوض ، والجمع البِرَكُ ، ويقال : سُمِّيت بذلك لإقامة الماء فيها .

[١١٦]- مفاتيح الغيب ٣٩/٢٤ بتصرف يسير ، ذكره عند تفسيره أول السورة .

[١١٧]- أول الآية ٥ من سورة الملك .

[١١٨]- قال في الصحاح ٢٨٠/١ مادة برج : التبرج إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال .

[١١٩]- تفسير البروج بالمنازل مروي عن : عليّ وأبي عبيدة ويحيى بن سلام ، وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهم .

[١٢٠]- وهو مروي عن الحسن وقتادة ومجاهد والضحاك ﷺ .

[١٢١]- وهو مروي عن ابن عباس وعكرمة ﷺ .

[١٢٢]- من الآية ٧٨ من سورة النساء .

[١٢٣]- وهو مروي عن المنهال بن عمرو ﷺ .

[١٢٤]- الآية ٦ من سورة ق .

[١٢٥]- ينظر : جامع البيان ١٢٧/٣٠ ، تفسير القرطبي ١٨٧/١٩ ، مفاتيح الغيب ١٠٤/٣١ ، الكشاف ٧١٦/٤ ، تفسير ابن كثير ٤٩٣/٤ ، فتح القدير ٤١١/٥ ، روح المعاني ١٥٢/٣٠ .

[١٢٦]- الآيات ٣٧ : ٣٩ من سورة يس .

[١٢٧]- ينظر : الحجة /١٦٤ ، الإقناع /٤٣٥ ، غيث النفع /٢٠٣ ، النشر ٢٥١/٢ ، البدور الزاهرة /٢٢٦ ، الإتحاف /٤١٨ .

[١٢٨]- آخر الآية ١٦ من سورة نوح .

[١٢٩]- قاله الجوهري في الصحاح ٦٤٤/١ مادة قمر .

[١٣٠]- ينظر : جامع البيان ٣٠/١٩ ، الكشاف ٢٨٢/٣ ، أنوار التنزيل ١١٩/٢ ، تفسير القرطبي ٤٤/١٣ ، مفاتيح الغيب ٩٢/٢٤ ، البحر المحيط ١٢٤/٨ ، روح المعاني ٥٩/١٩ : ٦١ .

[١٣١]- الآيتان ١٥ ، ١٦ من سورة نوح .

[١٣٢]- ينظر : القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، صفحة ١٧٩ ، ومن آيات الإعجاز العلمي د/ زغلول النجار ، صفحة ٦٠ ، بتصرف .

[١٣٣]- **قال الدكتور موريس** : تتكون مجرتنا من عدد هائل من النجوم ، موزعة على أسطوانة ، أكثر سُمْكاً في المركز منها على المحيط ، وتحتل موقعاً يبعد عن مركز الأسطوانة ، وبما أن المجرة تدور =

= حول نفسها – وكان محورها مركزها – فإن ناتج ذلك هو أن الشمس تدور حول نفس هذا المركز ، على حسب مدار دائري .

وقد حسب علماء الفلك الحديث عناصر هذا المدار ، وقد قدر شابلي في عام ١٩١٧م بُعْد الشمس عن مركز المجرة بـــ ١٠ كيلو فرســـخ ، أي بالكيلومترات ما يعادل الرقم ٣ وعلى يمينه سبعة عشر صفراً .

[١٣٤]– القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم صفحة ١٨٤ وما بعدها بتصرف وتلخيص .

[١٣٥]– الآية ٦٢ من سورة الفرقان .

[١٣٦]– وهو مروي عن أبي عبيدة والفراء ، تفسير القرطبي ٤٤/١٣ ، فتح القدير ٨٥/٤ .

[١٣٧]– من الآيات ١٦٤ من سورة البقرة ، و١٩٠ من سورة آل عمران ، و٥ من سورة الجاثية .

[١٣٨]– وهو مروي عن مجاهد ، فتح القدير ٨٥/٤ ، روح المعاني ٦٢/١٩ .

[١٣٩]– ينظر: الحجة /١٦٤، الإقناع /٤٣٥، النشر /٢٥١، البدور الزاهرة/ ٢٢٦، الإتحاف /٤١٨ .

[١٤٠]– ينظر : جامع البيان ٣٠/١٩ :٣١ ، الكشاف ٢٨٣/٣ ، أنوار التنزيل ١١٩/٢ ، تفسير القرطبي٤٤/١٣ : ٤٥ ، مفاتيح الغيب ٩٣/٢٤ ، البحر المحيط ١٢٥/٨ ، فتح القدير ٨٥/٤ روح المعاني ٦٢/١٩ : ٦٣ .

[١٤١]– سبق في المطلب الأول الحديث عن دوران الأرض ، بما يغني عن الإعادة هنا .

[١٤٢]– وهو ثبوت نسبي كما قال الدكتور موريس .

[١٤٣]– القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، صفحة ١٨٩ .

[١٤٤]– تدور الأرض في محورها حول الشمس من الغرب إلى الشرق ، فتبدو الشمس طالعة من الشرق وغائبة في الغرب ، فحركة الأرض ودورانها هو الذي يحدث الشروق والغروب الظاهرين للشمس بإذن الله تعالى .

[١٤٥]– من آيات الإعجاز العلمي في القرآن د/ زغلول النجار ، صفحة ٤٦ بتصرف .

[١٤٦]– من الآية ٥ من سورة الزمر .

[١٤٧]– من الآية ٦١ من سورة الحج ، ومن الآية ٢٩ من سورة لقمان ، وأول الآية ١٣ من سورة فاطر ، وأول الآية ٦ من سورة الحديد .

[١٤٨]– من الآية ٥٤ من سورة الأعراف .

[١٤٩]– من الآية ٣٧ من سورة يس .

الفهرس

م	اسم الباحث	موضوع البحث	الصفحة
1	د/ محمد عبد النبي محمد أحمد أستاذ النحو والصرف والعروض المساعد-كلية الآداب بالوادي الجديد	أثر الاتجاهات الفكرية في تأويل الأدوات والصيغ والتراكيب	٩
2	د. محمد النذير عبد الله ثاني أستاذ مشارك بقسم الإعلام جامعة حائل-المملكة العربية السعودية	الإعلام الجديد وأمن الهوية الافتراضية مقاربة في التفاعلية على الهوية الافتراضية السياسية " الصحافة الإلكترونية-نموذجا"	٧٥
3	د.عبدالله بن عبدالرحمن الحيدري أستاذ الأدب المشارك بكلية اللغة العربية بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية	الشعر في مواجهة الإرهاب -دراسة لنماذج من الشعر السعودي (١٤٢٤-١٤٣٤هـ/٢٠٠٣-٢٠١٣م)	٩٣
4	د. محمد محمود حسين محمد مدرس الأدب العربي الحديث في قسم اللغة العربية كلية الآداب، جامعة سوهاج	جمالية التوازي الدرامي في " مصير صرصار" لتوفيق الحكيم	١٢٩
5	د.أحمد رمضان مصطفى دياب أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بكلية أصول الدين – القاهرة جامعة الأزهر	الإعجاز العلمي في سورة الفرقان	١٧٥

رقم ايداع

١٨٥٥٨/ ٢٠١١

الترقيم الدولي

(ISSN ٢٣٥٦ - ٩٨٦٧)